

2 me Année, No 41.

Lundi-16-4-1934

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

العـــدد ٤١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ محرم سنة ١٣٥٣ — ١٦ ابريل سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

مصر فى الصباح !

للدكتور طه حسين

ولابد من الكتابة عن (مصر فى الصباح) بعد أن كتب صديق الزيات عن الحالة الحاضرة ، فهما عنوانان طالما ترددا فى أفواه ثلاثة من الشبان ، ظلوا أعواما طوالا يلتقون كل يوم اذا كان الضحى ، ثم لا يفترقون حتى يتقدم الليل . وكانوا اذا التقوا أخذوا فى فنون من الحديث والقراءة وتناشد الشعر ، والاختلاف الى الدرس ، واطالة المقام فى دار الكتب . ودفعوا الى الوان من الهزل ، وضروب من العبث ، حتى كانوا مضرب المثل عند الذين يعرفونهم والذين لا يعرفونهم من الازهريين .

وكان هؤلاء الشبان الثلاثة قد اتفقوا على الضيق بالدرس الازهرى القديم ، والابتهاج بما لم يكن مألوفا فى بيئات الازهر من درس الأدب والعناية به ، وقراءة الصحف والاغراق فيها ، ومن التطلع الى ما كان يقوله ويأتيه المثقفون الممتازون ، أولئك الذين كانوا يدبجون الفصول فى الصحف ، يمسون بها السياسة والاخلاق وشؤون الاجتماع . وأولئك الذين كانوا يخطبون فى المحافل والمجامع ، ويتحدثون فى الاندية ، وتنشر الصحف خطبهم ومحاضراتهم ، ويتناقل الناس أحاديثهم ومحاوراتهم ، وتذكر أسماؤهم فتمتلىء بها الافواه ، وتبتسم لها الشفاه ، وتشرق لها الوجوه ، ويشتد بها الاعجاب ، ويتخذ الشبان أصحابها مثلا عليا لما شئت مما يطمع فيه الشباب من بعد الذكر

وارتفاع الشأن، والظفر بما يظفر به عظماء الرجال من الاكبار والاجلال. وكان هؤلاء الشبان الثلاثة اذا التقوا وفرغوا من قراءة فى كتاب، أو استماع لدرس، أو إنشاد لشعر، أو نظروا امامهم الى هؤلاء العظماء المثقفين، فأجلوا وأكبروا، ونظروا من حولهم الى شيوخهم الازهريين فتفكهوا وتندروا، وأطلقوا السنتهم بالفكاهة والنادرة، ولعل من الناس من كان يجلس اليهم ويسمع منهم، ثم ينتقل فيذيع ماسمع، ويملأ به هذه الحلقات التى كانت تتحلق من حول الصحن، وعند القبلة القديمة أو القبلة الجديدة. وكانت اصداء ذلك ترد عليهم فيفرحون، وكان إنكار ذلك يبلغهم فلا يرتاعون، حتى أقبل ذلك اليوم الذى دار فيه الملاحظون فى الازهر، يجمعونهم من دروس الظهر جمعا، ويدفعونهم الى مجلس الشيخ الاكبر دفعا، ثم يسألون، فمنهم من يجيب ومنهم من يجمجم، ثم ينهرون، فمنهم من يبسم ومنهم من يعبس، ثم يعلن الشيخ اليهم أنهم مطرودون، وأن درسهم الذى كانوا يحبونه موقوف ممنوع، وأن شيخهم الذى كانوا يكبرونه مكلف أن يدرس المغنى لابن هشام بدل الكامل للمبرد، منفى من الرواق العباسى، مقرون الى اسطوانة من هذه الأساطين داخل المسجد يختارها له (رضوان).

هنالك ضاق الشبان الثلاثة بعض الضيق، وفرقوا بعض التفريق، ثم لم يلبثوا أن استأنفوا الحياة ومضوا فيها باسمين، يطمحون إلى ما كانوا يطمحون اليه، ويسخرون مما كانوا يسخرون منه، حتى ضرب الدهر بينهم بضرباته، كما قال حافظ رحمه الله فى ترجمة البؤساء، وقد كانوا يعجبون بهذه الجملة اعجابا شديدا، ويرددونها ترديدا متصلا. وهنالك مضى كل منهم فى سبيله، وأخذوا لا يلتقون الا من حين الى حين، فاذا التقوا كانت ساعات اللقاء أضيق من أن تسع ما كان يضطرب فى نفوسهم من الخواطر والآراء والأحاديث.

وكانوا فى حياتهم تلك، كما كانت الشعوب الأولى فى حياتها، أصحاب حس وشعور، وأصحاب قلوب تتأثر، ونفوس تتغنى، وكانت عقولهم غافلة أو كالغافلة، فكانوا ينشئون الشعر وينشدونه، وقلما يفكرون فى النثر، فان فكروا فيه فقلما يحاولونه، فان حاولوه فقلما يجيدون. وكانوا لا يخطر لهم موضوع الا تناولوه مسرعين. فنظموا فيه الشعر وتنافسوا فى الاجادة، ولم يتحرجوا من أن ينقد بعضهم بعضا. وكانوا يبلغون من ذلك مايريدون. يجيدون قليلا، ويسيئون كثيراً، ويرضون دائما. وكانوا يحسون أنهم ضعاف فى النثر، وأنهم فى حاجة الى أن يأخذوا منه بحظ، وكان الزيات يحاول أن يقوم من صاحبيه مقام الأستاذ، لأنه كان أحب منهما للصحف، وأكثر منهما عكوفا عليها واغراقا فى قراءتها، ويجب أن نعترف بالحق، فقد كان أوسع منهما صدراً للتجديد، يحب الكتاب المحدثين وما كانوا يحدثون من الآداب، على حين كان صاحباه يكلفان من الأدب بقديمه، بل بأقدمه. كان الزيات يكلف بالمتنبى بين الشعراء القدماء، وكان صاحباه يسخران منه ومن المتنبى، ويكرهان أن يسمعا له حين ينشد شعره البديع. كان الزيات يقرأ المثل السائر، وكان صاحباه لا يعترفان بمن بعد الجاحظ من الكتاب. كان الزيات يؤثر شوقى، وكان صاحباه يؤثران حافظا، ويتعصبان للبارودى، ويسرفان فى تقديم الكاظمى عليهم جميعاً. كان الزيات إذن يقيم نفسه من صاحبيه مقام الأستاذ فى النثر، وكانا لايتحرجان من أن يقرا له بهذه الاستاذية، فاذا أراد أن يزعمها لنفسه فى الشعر كان الجدال والنضال، وكان تذاكر الغرزمة وآثار الغرزمة، وكان انتحال الشعر الردىء وحمله عليه واضافته اليه. وكان انتحاله هو للشعر الردىء وحمله على صاحبيه وإضافته اليهما، وكان انشاد لمثل هذين البيتين:

بموسم عاشوراء قد عمت البشرى
وضاءت لنا الاكوان مذ علت الذكرى
ونادى المنادى أيها الناس يمموا
ضريح الحسين الشهم تنجو من الأخرى

ولست أدرى أى الثلاثة قال هذا الشعر الرائع، أو لعله شائع بينهم جميعا. ولعل ثالثهم محمودا ان يكون قد حفظ هذا الشعر فيما حفظ من آثار هذا العصر، فقد كان اليه تخليد هذه الآثار التى لم تكن تستحق أقل من الخلود.

وفى ذات يوم أقبل الزيات يقترح على صاحبيه التفكير فيما ينبغى لهم من العناية بالنثر، ويبين لهما ولنفسه اسباب هذه العناية ومذاهبها، ويرى ان ليس الى ذلك من سبيل الا ان يفعل الثلاثة كما يفعل الطلاب فى المدارس، حين يعالجون الانشاء، ويعرض عليهما وعلى نفسه هذين الموضوعين: (الحالة الحاضرة)، و (مصرف الصباح). وكان يقول ذلك جاداً كل الجد، مؤمنا كل الايمان، وكان صاحباه يسمعان له فى موقف بين الجد والهزل، يريدان ان يكتبا

ويعلمان انهما لن يستطيعا . فيقدمان ثم يضطران الى الاحجام، ويستران ضعفهما بالهزل والعبث، ثم يفزعان الى الشعر فينظمان منه ماشاء الله لهما ان ينظما بين الجيد والسخيف . وكانت الايام تمضي وتمضي ، والاصدقاء يلتقون ويتحدثون في النثر، والزيات يقترح الكتابة في الحالة الحاضرة ومصر في الصباح . وصاحباه يسألانه عن الحالة الحاضرة ماهي ، وما عسى ان تكون ، فلا يحير جوابا ؛ وصاحباه يسألانه عن مصر في الصباح كيف هي ؟ وماذا يقول فيها فلا يحير جوابا ، فيتمثل ثالثنا بهــذا البيت الذي كان يغيظ الزيات ويحفظه :

شيخ لنا من ربيعة الفرس
ينتف عثنونه من الهوس

وقد فتح الله على الزيات بعد خمسة وعشرين عاما ، فكتب في الحالة الحاضرة . ولم يفتح الله عليه ولا على صاحبيه بعد خمسة وعشرين عاما ليكتبوا عن مصر في الصباح . ولكنه قد كتب على كل حال ، فما زال اذن قائما من صاحبيه مقام الاستاذ، ولن يستطيع صاحباه منذ يوم الاثنين الماضي ان يصدماه بهذا البيت :

شيخ لنا من ربيعة الفرس
ينتف عثنونه من الهوس

وإني لأخشى ان يستطيل هو على صاحبيه ، وقد عجزا ربع قرن عن ان يكتبا في الحالة الحاضرة ، أو يصورا مصر في الصباح، فيصدمهما بهذا البيت بعد أن كان يخافه ويضيق به ، ويكره استماعه منهما .

ولست أدري أأشفق ثالثنا من هذا النذير فاستعد لهذه الساعة الخطرة التي يلتقي فيها الاصحاب لتصفية الحساب ، أم شغل بكتبه واسفاره عن كل هذا الحديث . اما انا فاعترف بأني فكرت في هذه الساعة ، وقدرت انها ستكون عصيبة محرجة ، وأشفقت من هذا الحرج ، وحاولت ان احتاط له ، وأستعد لهجمة الزيات، واربأ بنفسي عن ان اسمع منه هذا البيت الذي سنا نخوفه به ، فأصبح خليقا ان يخوفنا به :

شيخ لنا من ربيعــــة الفرس
ينتف عثنونه من الهوس

فحاولت منذ أسبوع أن أطرق هذا الموضوع ، وأن اكتب عن مصر في الصباح ، فاذا بلغت من ذلك ما أريد أمنت الزيات وحالفته على صديقنا الثالث ، كما كنت احالف صديقنا الثالث عليه ، ثم ذهبنا الى صاحبنا نسعى اليه مبتسمين ، حتى اذا بلغنا مجلسه لم نبدأه بتحية ولا مصافحة ولا حديث ، وانما وضعنا الرسالة بين يديه وفيها الحالة الحاضرة للزيات ، وفيها مصر في الصباح لطه حسين . ثم ابتدرناه معا بهذا البيت :

شيخ لنا من ربيعة الفرس
ينتف عثنونه من الهوس .

ثم انصرفنا عنه راجعــين وتركناه يغــلي كالمرجل . ولكن الله الذي فتح على الزيات فالهمه وصف الحالة الحاضرة لم يفتح علي ولم يلهمني وصف مصر في الصباح . ذلك ان الزيات راغ وزاغ وعدل عما كان يراد منه من وصف تلك الحالة الحاضرة قبل نيف وعشرين سنة الى وصف هذه الحالة الحاضرة التي نبغضها أشد البغض ونضيق بها اعظم الضيق . واي الكتاب لا يقدر على ان يصف الحالة الحاضرة الآن ؟ وأي الكتاب لا يقدر على أن يجيد في هذا الوصف ويأتي فيه بالاعاجيب ؟ ومن يدري ؟ لعلي احسن اذا ذهبت الى صديقنا الثالث فالقيت في روعه ان الزيات قد ذكر اسمه القديم فراغ وزاغ ، ووصف ما لم يكن يراد على وصفه .

البقية على صفحة ٦٣٨

مختار مريض*

للأستاذ مصطفى عبد الرازق

لقيت مختارا أول مالقيته فى باريس عند ما ذهب اليها لاستكمال دراسته فى « مدرسة الفنون الجميلة »

كنا جماعة من الشبان المصريين نسمر فى بعض قهوات « الحى اللاتينى » ، والحى اللاتينى يومئذ مجمع الطلاب ومسرح الشباب ، فهبط علينا فتى أسمر اللون رقيق الجسم ، فيه وداعة وفيه حياء ، تعرف من سحنته ومن سمته ومن حديثه أنه ريفى ، وتلمح فى نظراته التائهة أن استعداده الفطرى يوجه بصره الى مرمى بعيد ، ذلك الفتى هو « محمود مختار » ، وقد أخذ يعرض علينا أوراقا كان يرسم فيها أبطالا من العرب كخالد بن الوليد وغيره ممن حفظ التاريخ فعالهم ولم يحفظ مثالهم .

وكنا كلما اجتمعنا بعد ذلك بمختار فى الحى اللاتينى ، طالعنا بثمرات عمله ، وحدثنا فى فنه الذى يكب عليه ، ويوجه كل همه اليه ، فأحببنا مختارا لما فى شمائله من البساطة والتواضع والصفاء ، واحببناه لشغفه بفنه الجميل ، ولما توسمنا فيه من مخايل النبوغ

ثم غمر الفن مختارا واستحوذت عليه الاوساط الفنية ، وغمرتنا فى الحياة شئون أخر ، فافترقنا زمانا ، وسمعت ذكر مختار حين برزت آثاره الفنية فى الميدان ، وعرضت فى معارض الفن فى باريس ، فنالت من أسنى الجوائز وشهد لها بالبراعة كبار النقاد

وسمعت ذكر مختار حين صور لنهضة مصر تمثالا تجمع فيه للوثوب أبو الهول حتى كاد ينتفض انتفاضا ، فهتفت مصر كلها باسم النابغة مختار .

رأيت النابغة مختارا فاذا الشاب النحيف الأمرد ، قد استوى رجلا مفتولا أصلع الهامة ، طويل اللحية ، عريض الصوت ، ضخم الملامح ، طبعه الفن بطابعه ، والتى عليه من حب الجمال وفهمه جاذبية أهل الجمال ، ديمقراطى النزعة ، ارستقراطى الذوق ، يعجبك حديثه وجدله ، وان كان حديد الطبع سريع الرضا والغضب ، فى نفسه فيض من الصبى والمرح ، كانما هو على مر السنين يزيد .

منذ ذلك العهد تكررت فرص لقائنا فى السفر والحضر ، فشهدت مختارا فى عمله جاهدا مثابرا مجدا ، حتى حسبته لا يعرف اللهو ، وشهدت مختارا لاهيا مرحا ، حتى ظننته لا يدرى ما الجد ، وبلوته صديقا وفيا ، ووطنيا مخلصا ، وعرفت من جوانب حياته دلائل بر وشهامة ، وصبر وكرامة ، فى شدة الحياة وفى رخائها

ولقد يخيل الى الناس أن مختارا لم تنله فى حياته شدة . ذلك بانه صبور على احداث الحياة ، لا يغيره عسر ولا رخاء . ولعلك لو اطلعت على مختار اليوم وهو فى سرير المرض لوجدته باسما صبورا . ولو أنه كان يقوى على الضحك لملأ الدنيا كعادته ضحكا برغم أوجاعه ووحدته الموحشة .

الأستاذ مختار ، هو صاحب « نهضة مصر » أول تمثال فى تاريخنا الحديث صنعه مصرى ، وهو الذى ابدع للفلاحة المصرية تماثيل لا يستطيع ابداعها الا فنان ماهر ، أنبته الريف المصرى ، وغذاه بمائه وهوائه .

لقد قالوا إن فى تمثال النهضة مآخذ : منها أنه ضئيل فوق قاعدته الضخمة : وأن حجاب الفتاة وتناسب أعضائها ، وموقع يدها من أبى الهول لا يحقق كل مايشتهى الفن .

ليكن كل مايقولون صحيحا ! فهل سلم من النقد أثر من آثار المجهود الانسانى فى القديم والحديث ؟

إن الانظار ستصقل على مر السنين هذا التمثال العظيم القائم فى ميدان المحطة رمزا وطنيا خالصا لمصر ، وسيبقى اسم مختار فى ديوان مجدنا القومى عنوانا لنهضة الفن الجميل فى وادى النيل

بذل مختار شبابه وقوته للفن ولمجد مصر من ناحية الفن . وقد يكون المرض الذى يعانيه الآن من آثار جهده المضنى .

فى بعض حجرات « المستشفى الفرنسى » بالعباسية ، يقيم مختار منذ اشتدت به العلة ، وصار فى حاجة الى علاج يقظ متواصل ، والى راحة لا يجدها المريض إلا فى المستشفيات ، واذا كان عواد مختار قليلين ، فقد يكون هو فى شغل بأوصابه عن كثرة الزوار وقلتهم ، وعز وفاء الناس وتقصيرهم ، لكن علينا جميعا أن نحف بكل مافى قلوبنا من عطف وبر سرير ذلك المريض العزيز ، تحية لعبقريته وتكريما لمجده الفنى ، وابتهالا الى الله العلى أن ينجيه من براثن الداء ، ويكتب له العافية والشفاء . ؟

* كتبت هذه القطعة الرائعة قبل أن يستأثر الله بالفنان القدير : (الرسالة)

مقــبرة عائمــة

للدكتور احمد زكى

ليست هذه حكاية من صنع الخيال ، ولكنها واقعة صدق ، أرويها عن راوية صادق ورجل مسئول :

سكيم وحكيم شابان من أهل الامبراطورية السماوية المقدسة التى يسميها أهل هذه الدنيا غير المقدسة بلاد الصين ، نشآ فى قرية من قرى مديرية « كانتون » ولازماها حتى بلغا سن الشباب الاول ، سن العشرين ، هذا باحتساب دوران الأرض واختلاف الليل والنهار ، فانك كنت تراهما فتحسبهما بلغا الثلاثين او فاتاها ، وتحدق فى وجهيهما الكالحين مليا فتجدهما مثقلين بهموم الاربعين والخمسين . وتلك المسحة الحزينة الكلحاء تجدها حيثما ضربت فى بلاد الله فالتقيت بصينى شاب أو شيخ ، دائما أبدا ذلك الوجه النحيل الشاحب المسكين الذى تكاد تقطر منه الصفرة والألم . اشترك سكيم وحكيم مع شباب امتهم فى حمل ذلك الوجه الكالح الحزين ، وزاده كلاحة وحزنا فروض ثقيلة يفرضها الآباء على الابناء من يوم يخلقون ، فالابن دائما فى طاعة أبويه ومن متاعهما ، لقن صغيرا أنه انما خلق لخدمتهما وترفيهما وكسب معاشهما ، وأن وجوده فى هذا العالم لا يبرره الا التضحية لها بالنفس والنفائس

وذات مساء ذهبا الى حانوت القرية الصغير يشتريان من الافيون أطيبه وأنضجه ، ويتخيران منه أكثره تسكينا للطبع الثائر وتخديرا للمزاج الحاد ، فقد كان اتفق فى تلك الليلة أن أبويهما لم يكونا على أطيب حال وأرحب بال ، فالتقيا هناك بعد غيبة أيام قليلة ملأتهما بالشوق الكثير ، فرحب حكيم بسكيم ، ورحب سكيم بحكيم ، وتساءلا ملياً فى أدب كثير عن صحة أبويهما ، ولما بلغا من ذلك ما طمأن بالهما وأقر خوفهما ، انتقلا يصفان الزمن السيء ويشكوان ضيق الحال ؛ ويتأسفان على ما حاق بالقرية من الفقر والجوع

وكان الى جانبهما رجل من أهل الصفرة كذلك ، الا أنه سمين بدين ، وقد اضطجع على فراش من فُرُش الحانوت يهيء لنفسه تدخينة الأفيون ، وكان يستمع للشابين وشكاتهما ، فلما بلغا من الحديث ما بلغا ، شاء أن يتدخل فيأخذ بطرف من حديثهما فقال :

— نعم صديق ، ان فى الزمن سوءاً ، وان فى الحال ضيقا ، وكيف تقنع الروح فتهدأ وتخلد للسلام والمعدة فارغة ؟

فابتدره الصديقان :

— هذا حق . هذا حق لا مراء فيه

ثم أخذا يتساران :

— ان هذا الغريب المحترم لابد أن يكون فيلسوفا كبيراً لأنه يتكلم بلغة الحكماء

وجرى الحديث بينهما وبين الحكيم المحترم ، وبعد تحية تتلوها تحية ، وشكوى منهما يتلوها تأمين منه ، وبعد أن ذكرا للغريب مراراً أنهما وضيعان حقيران لا يساويان خردلتين ، تراءى للفيلسوف أن يفتح لهما عيبة حكمته ويدلهما على أقوم السبل وأقربها للعناية بآبائهما الأشياخ حتى تنفرج الأزمة الحاضرة . فذكر لهما جزيرة فى ناحية من نواحى البحر المحيط يسكنها شياطين شقر من الهولانديين يقومون فيها بزراعة الطباق فى مساحات مديدة واسعة ، ويستخدمون فيها الشبان فيعطونهم اجورا لا تتحقق الا فى الاحلام ، هذا بشرطين : أولهما ان يكون الشاب قادرا ماهراً ، وثانيهما ان يكون له الحظ المجدود الذى ييسر له الخدمة لدى هؤلاء الشقر . وذكر لهما أنهما لابد مجدودان لأنهما وقعا فى سبيله ، وأنه هو أيضا مجدود باستطاعته اسداء الخير لهما على هذا النحو . وكان فى حديث هذا الفيلسوف عذوبة ، كانت كلماته ملساء تنزلق فى سهولة من بين شفتين ملساوين ، ولا بدع فصاحبنا كانت تفرض عليه صناعته حذق الكلام وموادعة القلوب ومصانعة الافهام ، فهو رجل من الرجال المغامرين ، الذين كانوا يجوسون خلال الريف يتصيدون الشباب البرىء الساذج يبعثون به الى وكلائهم بالموانىء ليرحلوهم فى طلب العمل وراء البحر الى حيث تشترى الابدان اغتصابا لقاء كراء دنىء وعيش رقيق

ولما كان فى طبع الصينى ارتياب ، وفيه كذلك حب المساعرة والممارسة ، لم يطمئن سكيم ولم يطمئن حكيم الى قبول الدعوة فى الليلة الأولى من عرضها ، وآثرا انتظار الغد ، فالغد الذى يليه ، وانتهيا أخيرا الى ان بلعا الطُّعم كما بلعه قبلهما ألوف وبثمن بخس ، بخمسة وثلاثين دولاراً فضة ، باعا الجسم والروح

وفى صبيحة يوم كان سكيم وحكيم يدقان بأقدامهما تراب الطريق الى ميناء « كانتون » ، وهو ميناء فى الشرق الاقصى فى ذكر اسمه غناء عن سوء وصفه وشناعة الأمور التى تجرى فيه ، ولما بلغاه سيقا كالأغنام فى قطيع كبير من الضحايا الى سفينة صينية عتيقة عرفت البحار طرازها منذ خمسة قرون . وكانت سيئة النظام فاسدة التقسيم عاطلة من كل أدوات الراحة ووسائل العيش ، لا أقول الرفيه ، ولكن اللازم للتمييز بينه وبين عيش الأنعام وسائر الحيوان . دخل شباب الصين الى السفينة الصغيرة وكانوا خمسين ومائة رجل فملأوا طابقيها حتى ضاقا بهم ، ولكن لم يظهر عليهم أنهم ضاقوا بهما ، وكيف يضيق الصينى بشىء وهو من أمة يرى الرجل منها صنوف الكرب تحل به وبأهله ، وألوان الخسف والعذاب تنزل بغيره وبأهل غيره ، وهو يحدق الى هذه والى تلك بعين تنظر ولا ترى ، ومقلة إن أدركت من الصور مبناها فقد فاتها معناها

وتحركت السفينة باسم عزريل مجراها والى جهنم مرساها . وبتحركها بدأت تتحرك الأمور . فالبحر أخذ يدور فدارت معه نفوس الراكبين — فى الأمم المتحضرة يذهب دوار البحر بوقار الناس ، وهم يعلمون ذلك من أنفسهم فيحرصون على حرمتها فيتقون مايقع لهم من ذلك بالتخفى والتستر ، أما أصحابنا فلم يعرفوا للوقار اسما ، ولا لحرمة النفس معنى ، ولو أنهم علموا من ذلك ماعلم غيرهم لما أغناهم علمهم شيئا ، فلم يكن فى السفينة موضع فاضل ، فكيف بمكان ساتر ، وما حاجة الصينى العامل المسترق للستر والخفاء ، فمضت أيام ثلاثة ، اختلط فيها الانسان والمتاع والمكان ، بمقذوفات الحلوق فى جو امتلأ فسادا وتنضح سما

وصحا الجو فى اليوم الرابع فرفع الرجال رؤوسهم وقاموا الى وجبة من سمك وأرز ، الا رجلين بقيا بلا حراك على ظهر السفينة . ومن أجل هذين اجتمع ربان السفينة بوكيله اجتماعا سريعا فقررا ان الرجلين يحتضران ، وانه لابد ألا يموتا فى السفينة فيجلبا لها الشؤم والخراب . وكان من عادة أمثال هذه السفن ان ترسى على شواطىء غير آهلة طلبا للوقود الرخيص الذى يفر اليها هربا من الضريبة . وفى أول ارساة أنزل الرجلان ففرحا لذلك فرحا كبيرا ، ولكنهما مالبثا أن أدركا أنهما نزلا الى أرض لاأنس فيها ولا عون بل فيها المرض المتصل والموت البطىء . فبكيا واستغاثا يطلبان العودة الى السفينة ، ورفعا ايديهما عبثا بالرجاء والدعاء . وأقلعت السفينة بدونهما . وعلم الرجال الذين بها ان هذا مآل كل من يسقط منهم هذه السقطة ، ولكن لم يتحرك فيهم بنان باحتجاج أو لسان بكلمة دفاعا عن هذين البائسين ، وكيف يقع من أحدهم شىء فيه إفساد لمغامرة مالية تعود على نفسه وأهله بالنعمة والثراء ؟ وما هذه بأول مرة بردت فيها المنافع الذاتية الدم الانسانى فى موقف كان من طبعه أن يغلى فيه ويفور

سارت السفينة مع الريح جنوبا ، وكان يهب من الشمال شديداً ، فسرعان ما بلغت أرخبيلا يقع الى الجانب الادنى من بوغاز « مالقة » ، فانقلب اتجاه الريح فصار حاراً لافحاً ، وبدأ العطش يأخذ من الرجال فاستنفدوا صهريج ماء كامل . وفتحوا الصهريج الثانى وبفتحه انفتحت طاقة من جهنم .

فى مساء ذلك اليوم مرض ثلاثة من الرجال مرضا مفاجئا ، وماتوا موتا سريعا فلم يمهلوا ربان السفينة ليفعل بهم ما اعتاد أن يفعله بالمرضى اذا قل فيهم الرجاء . فاستاء الربان وتشاءم وتربص شرا . وقذف الرجال الاحياء بالرجال الاموات من فوق ظهر السفينة الى البحر ، الى أفواه « القروش » التابعة ، ووحوش الاقيانوس السابحة ، وكان فى وجوههم جزع ، وفى عيونهم رعب ، وكانت فى الجثث بشاعة وشناعة

فى الصين يعيش الناس فى فقر مدقع وجهالة سوداء ، وهذان بلدان القذارة فاذا حلت الهيضة (الكوليرا) بهم راعتهم أشد الروع فان كانوا على الارض فروا منها وتفرقوا سراعا فى كل صوب ، وفرقوا معهم عدوى المرض فى كل ناحية ، وان كانوا حيث لامفر ولا منجاة استسلموا استسلاما كاملا ، واشتد بهم الخوف فجمدوا عن الحركة وهذا ماحدث لسكيم وحكيم واصحابهما على تلك السفينة المشئومة ، فانهم جميعا جلسوا القرفصاء ودلوا وجوههم بين أرجلهم يحدقون فى الارض تحديقا شديدا كانما يريدون خرقها بأنظارهم ، وهم انما يفكرون فيمن تكون عليه النوبة التالية ، وبأى اسم يهتف الهاتف عن قريب

ولم يطل تفكيرهم طويلا ، فما انتصف النهار التالى حتى أجاب الهاتف منهم ستة رجال ، وماجاءت العشية حتى زاد هؤلاء عشرة آخرين . وجاء النهار مرة أخرى وجاءت شمسه ، وأخذت تصب على السفينة أشعة لا من ضياء لطيف ولكن حُمَمًا من النار ، وكان من حولها البحر هادئا ساكنا كأنه صفحة الزجاج ، تشقه السفينة

بصدرها فيسمع انشقاقه واضحا فى هذا السكوت الرهيب

وزاد جدول المرضى وطال ، وتحرك الريح فزادت سرعة السفينة ، ومالبثت ان تراءت لها شواطىء جزيرة « سومطرا » . وكان البحارة خمسة فمات منهم ثلاثة . ومات اكثر الركاب أو كانوا فى سبيل الموت ، وأحدق الاحياء الى الارض البعيدة ، الى الأمل النائى ، الى الحياة من بعد أن ذهب رجاؤهم فى الحياة . وكان من بينهم نفر ذهب الرعب بصوابهم فزادوا الحال خبالا

وعلم الربان ان السلطات لن تسمح بدخوله المرفأ الذى كان يطلبه على هذه الحال ، فنكّب عنه ، وسار بحذاء الشاطىء يطلب مرسى آخر ، وبعد ساعات وصل الى ميناء صغير لهولاندا . وازدحم الرجال على ظهر السفينة ، وفى عيونهم بريق الأمل ، وفيها كذلك بريق الدموع .

ولكن كان الربان اضطر الى أن يستعين على قيادة السفينة بأيد تعوزها الخبرة وينقصها المران ، فلم يستقم سيرها ، وظهر كأنها لا تعرف أين تميل ولا إلى أين تقصد ، أو كأنها تدرى ولكن لأمر ما تخشى وتخاف . فأثار ذلك الريبة فى موظفى الميناء فخرج اليها ضابط هولاندى فى قارب ومعه بعض الجند ، فلما بلغ صاح مترجمه الصينى الى رجال السفينة يسأل ما بها . فصمت الجميع ونطقت الجثث المترامية على ظهرها

فصرخ الضابط : «انها الكوليرا . الكوليرا السوداء . لا سماح بالنزول والا هلك من بالجزيرة جميعاً . يا مترجم . صح بهم أن لا أمل فى النزول . وانهم ان أبوا نسفت السفينة بمن بها »

فكان بالسفينة هرج ، وكان بها مرج شديد ، واصطفت تلك الوجوه الجوفاء الشاحبة تطل على القارب تبكى وترجو فى ذعر ودهش من أن تبلغ القسوة هذا المبلغ من الانسان . وتحول الضابط بنظره عنها وفى قلبه إحساس قوى أليم بأنه انما حكم بالموت على هؤلاء التعسين ، ولكنها الاوامر لم يكن باستطاعته مخالفتها ، وغير ذلك فلم يكن بالميناء محجر صحى ينزل هؤلاء الاشقياء فيه

واجتمع الربان بوكيله ، واعتزما أن يعبرا البوغاز الى الشاطىء الآخر يحاولان النزول على شاطىء الملايا . كان هذا آخر أملهم فتمسك الرجال به تمسك الغريق بقطعة خشب عائمة ، فقام من استطاع منهم بالمعونة لتصل السفينة سريعا الى منزل الخلاص . وجاء الليل فمرض الوكيل وذهب . وجاء دور حكيم فدافع المرض بقدر ما فى جسمه من قوة ، ومر بكل ادوار الوباء وآلامه . ونظر الى صديقه سكيم والداء يملؤه ، يرجو ويسترحم ويطلب تخليصه ، ولكن سكيما فر ، فحكيم هذا لم يكن فى تلك الساعة صديق طفولته وصباه الذى كان يعرف ، ولكنه رجل يزفر الموت فى أنفاسه

وجمع القبطان رجاله ، وذكر لهم ان الخير فى تجريد السفينة مما عليها من الاشلاء ، وفى تنظيفها من مظاهر الوباء ، وفى التخفى والتستر لكى يُسمح لهم بنزول الشواطىء . فبدأوا فى رمى الجثث الى البحر بسواعد تضطرب ، وفرائص ترتعد . وجاء دور الجثث التى لم تمت بعد ، فنظر اليها الرجال ولم يمدوا اليها يدا ، ونظروا الى الربان يستنبئون ، فصاح بهم : لابد من ازالة كل أثر فقذفوا بأجساد لاتزال بها حرارة الحياة . وكان حكيم لم يمت بعد ، فاسترحم واستغاث . ومرت رعدة شديدة فى ظهر سكيم لما رآه يقذف الى الماء . ولكنه لم يفعل شيئا

دبر الربان ودبر القدر ، فحدث مالم يكن ينتظر . سكنت الريح وكان تيار الماء قويا فى هذه المنطقة فحمل السفينة معه ، وحمل معها الجثث التى قذفت بها ، فسارت حولها فى موكب مريع ، وازدحم الرجال على السفينة ينظرون الى الرجال الذين يرقصون فى الماء . ونظر سكيم فيما نظر صديقه حكيما يصعد فى البحر وفى فمه صياح وفيه ازباد وارغاء ، ثم يغطس غطسة فسرتها ستة من زعانف سوداء ، أكلت « القروش » حتى شبعت ، ومع ذلك بقيت على المائدة بقية صحبت السفينة حتى بلغت ميناء « كلانج »

وكان البرق قد طير خبر السفينة الى « سنغافوره » فخرج رجال الميناء يطلبونها . فأقبلت تتهادى فى ثقة من النزول هذه المرة لأنها تخلصت من آثار الوباء أو خالت انها تخلصت منه ، ولكن حال الرجال الذين حملت كانت تنم عن كثير ، وغير هذا فقد دخلت تجرر فى أذيالها على الماء من بقايا الأموات وثائق حية تعلن التهمة للرياح الاربع

فأحاط بها الجند من كل ناحية ، وساقوها الى جزيرة العزل ، أما الاموات فدفنوهم مع كثير من الجير ، وأما البقية القليلة الباقية فركزوهم فى نطاق مضروب ، ومرضوهم فمات منهم ثلاثة ، وخرج الباقون بعد حين فى ذهول كبير ، الى الدنيا بلا خوف ، الى الارض الجامدة الواسعة الأمينة ، يستقبلون حياة جديدة وأملا جديدا . وكان كلما نظر ناظر منهم الى خلفه اقشعر .

احمد زكى

الانقلاب الجمهورى فى اسبانيا

١ — اسبانيا ما قبل الحرب

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

تعانى اسبانيا الجمهورية منذ قيامها أزمات ومتاعب متوالية ، وتتعاقب فيها القلاقل والاضطرابات المختلفة . وقد استطاعت حكومة السنيور ليرو الأخيرة التى قامت بعد أزمة وزارية طويلة أن تسيطر على الموقف نوعا . ولكن استنادها إلى العناصر الفاشستية والمحافظة يثير سخط الأحزاب الاشتراكية والمتطرفة ، ويذكى النضال الخالد بين الجبهة الرجعية والجبهة الثورية . وتتنازع اسبانيا فوق ذلك قوتان أخريان : هما قوة الملوكية ، وقوة الكثلكة . وقد قامت الجمهورية الاسبانية الفتية على انقاض الملوكية والقوى الدينية التى تحركها . ولكن فلول الملوكية ما زالت تنبث فى اسبانيا وتعمل فى الداخل والخارج لأثارة الصعاب فى وجه الجمهورية ، وما زالت قوى الكثلكة رغم انهيارها تحاول النهوض والعمل لاسترداد نفوذها وسلطانها . وما زالت الجمهورية قوية تقبض على ناصية الحوادث ، ولكن الخلاف الذى يضطرم دائما بين العناصر الجمهورية والحرة من جهة ، وبينها وبين العناصر المتطرفة والثورية من جهة أخرى ، يزيد فى متاعبها ويعرضها لاخطار شتى .

قامت الجمهورية الاسبانية منذ ثلاثة أعوام فقط ، فى ابريل سنة ١٩٣١ نتيجة لنضال ديموقراطية ثائرة تضطرم منذ أعوام طويلة . ولكن الديموقراطية الاسبانية قديمة ترجع إلى أكثر من قرن . وقد ظفرت اسبانيا بدستورها الحديث سنة ١٨١٢ ، أثناء الحروب البونابارتية ، وهو الدستور الذى وضعته جمعية وطنية فى قادس ، ووعد فرديناند ملكها المنفى يومئذ باحترامه ، ولكنه لما عاد إلى اسبانيا بعد ذلك بعامين على أثر انتهاء الحروب البونابارتية ، عمل على توطيد الملوكية المطلقة وانتقاص الحريات والحقوق الدستورية ، فعاد الشعب الاسبانى الى الثورة فى سنة ١٨٢٠ ، واضطر فرديناند الى الاعتراف بالدستور كرة أخرى ، ولكنه لم يلبث ان عاد الى انتهاكه ، وعاونته الجنود الفرنسية التى أمده بها لويس الثامن عشر على تنفيذ سياسة الحكم المطلق . وكانت معظم الشعوب الاوربية تنزع يومئذ الى الحركات التحريرية ، ولكن الملوكيات القديمة لم تقف جامدة أمام هذه النزعة ، ومنذ سنة ١٨١٥ عقدت المعاهدة المقدسة بين العروش الاوربية القديمة فى روسيا ، والنمسا ، والمجر ، وألمانيا ، للتعاون على اخماد النزعات والحركات الشعبية الحرة التى بثتها مبادىء الثورة الفرنسية ، وأذكاها مبالغة الملوكية القديمة فى الاستئثار بالسلطان والحكم المطلق ، وفى تجاهل الرغبات والامانى الشعبية . وفى أواخر عهد فرديناند (نحو سنة ١٨٣٠) اضطرم النضال بين فريناند وأخيه الدون كارلوس على مسألة وراثة العرش . وكان فرديناند حتى سنة ١٨٢٩ عقيما لاولد له ، ثم ولدت له بعد ذلك ابنة ، فعمد فى الحال الى تغيير قانون الوراثة ليحرم أخاه كارلوس من ارتقاء العرش وليبقى العرش لابنته . ولما توفى سنة ١٨٣٣ ، اعترف « الكورتيز » (البرلمان) بابنته ايزابيلا ملكة لاسبانيا وبوالدتها وصية على العرش ، واعترفت ايزابيلا بعد ذلك بالدستور الاسبانى الجديد الذى وضع سنة ١٨٣٦ ، على مثل دستور قادس . ولكن عهدها كان فياضا بالاضطراب والقلاقل ، وتوالت فيه الحكومات الضعيفة العاجزة وفسدت النظم والادارة ؛ وفيه فقدت اسبانيا معظم أملاكها الامريكية على أثر الحركات التحريرية التى قامت فى امريكا الجنوبية وانتهت بتحرر شعوبها من النير الاسبانى ، وقيام الجمهوريات الامريكية الجديدة ، واستمرت أسبانيا عصرا تعانى غمر الاضطراب والفوضى ؛ ولكن الديموقراطية استطاعت خلال ذلك أن تنمو وأن تقوى ؛ وبذلت يومئذ لتحطيم الملوكية عدة محاولات عنيفة ، ووقعت من جراء ذلك حوادث دموية كثيرة . واشتد ساعد الحركة الجمهورية الى حد روعت معه الملوكية ؛ واستمرت اداة الحكم على ضعفها وانحلالها ، والعرش فيما بين ذلك يهتز توجسا وفرقا ، حتى غدا الموقف مما يستحيل استمراره . ولم تقو الملكة ايزابيلا على مواجهة هذه الصعاب والخطوب كلها ، ففرت الى فرنسا ، ثم تنازلت بعد ذلك عن العرش لولدها الفونسو الثانى عشر . وكان الفونسو وقتئذ طفلا فى نحو العاشرة ، فلبث العرش الاسبانى خاليا مدى حين ، وأقيمت حكومة مؤقتة تحيط بها الصعاب والازمات من كل ناحية ثم كان عرض العرش الاسبانى على ليوبولد الالمانى من أمراء آل هوهنزلرن ، ومعارضة نابوليون الثالث فى ذلك ، وقيام تلك الازمة

الخطيرة التى التمست سببا لاضطرام الحرب بين فرنسا والمانيا فى فى سنة ١٨٧٠ ؛ فعدلت اسبانيا عن ترشيح ليوبولد. وانتهى الامر باختيار أمديس أمير سافوا ملكا لاسبانيا ، فجلس على عرشها نحو ثلاثة أعوام يعمل فى ظروف صعبة ، ثم استقال وغادر البلاد وخلا العرش كرة أخرى ؛ وهنا اضطرمت البلاد بثورة تحريرية قوية ، واستطاع الاحرار أن يعلنوا قيام الجمهورية ، وان يقيموا الحكم الجمهورى مدى عام (سنة ١٨٧٤) ؛ وكان هذا أول ظفر حقيق للديموقراطية الاسبانية ، ولكنه كان ظفرا خلبا ، لأن العناصر الرجعية لبثت قوية تعمل لاسترداد سلطانها . وكانت اسبانيا تعانى فى نفس الوقت مصائب الحرب الاهلية ، لأن الدون كارلوس وأنصاره انتهزوا فرصة الاضطراب العام ليحاولوا انتزاع العرش فوقعت الحرب الكارلية الثانية (سنة ١٨٧٢) ، ولبثت نحو أربعة أعوام تمزق أوصال الامة ، ثم انتهت أخيرا بسحق قوى الدون كارلوس وفراره الى فرنسا . وعندئذ أعلن الفونسو الثانى عشر ، وكان عندئذ طالبا يدرس فى انكلترا - انه ملك اسبانيا الوحيد ، واستمر انصاره فى الداخل يدبرون له سبيل العودة ، حتى استطاع ان يعود وأن يجلس على عرش اسبانيا سنة ١٨٧٥ ، وهو فتى لا يجاوز السابعة عشرة ، وكان الفونسو الثانى عشر رغم حداثته يتمتع بخلال ومواهب طيبة ، فاستطاع بمعاونة وزيره الشهير شاروفاس دل كاستيلو ان يقمع الفوضى وان يعيد الامن والنظام ، وان يقوم باصلاحات واسعة المدى . وتنفست اسبانيا فى عهده الصعداء ، وتمتعت بفترة من السكينة والرخاء . ولكن الموت لم يمهله ، فتوفى شابا فى السابعة والعشرين من عمره سنة ١٨٨٥ ، وترك ارملته حاملا ، فوضعت بعد وفاته ولدا سمى بالفونسو الثالث عشر ، واعلن منذ مولده ملكا لاسبانيا وعينت أمه الملكة ماريا كرستينا وصية للعرش

***

كان الفونسو الثالث عشر خاتمة لتلك السلسلة الحافلة من ملوك قشتالة الذين لبثوا قرونا يحاربون العرب والاسلام فى اسبانيا والذين نفضوا بعد طول الجهاد على الاسلام والحضارة الاسلامية فى اسبانيا . وكان وريث ملوكية عريقة كانت مدى حين تفوق جميع الملوكيات الاوربية فى العظمة والبهاء ، وتبسط سلطانها ما وراء المحيط على قارة بأسرها . ولكنه لم يرث من ذلك التراث العريض الباذخ سوى بقية واهنة مضعضعة . كانت الملوكية الاسبانية فى الواقع تطوى مرحلتها الأخيرة فى بطء ، وشاء القدر أن يكون مصرعها على يد الفونسو الثالث عشر آخر ملوك قشتالة .

تولت الملكة ماريا كرستينا زمام الامور حتى يبلغ ولدها أشده . وكانت مهمة شاقة ، لأن الامور لم تكن قد استقرت بعد ، ولكن الملكة الارمل استطاعت ان تعمل فى جو من العطف سواء فى الداخل ، أو فى الخارج ، فهدأت الخواطر وتحسنت الاحوال نوعا . وكان أعظم الحوادث فى هذا العهد نشوب الحرب الاسبانية الامريكية ، وفقد اسبانيا لباقى مستعمراتها ، وكان سبب نشوبها الخلاف بين اسبانيا وأمريكا على جزيرة كوبا ، وتطلع امريكا الى انتزاعها من اسبانيا . ونشبت الحرب بين الدولتين سنة ١٨٩٨ ، وهزمت اسبانيا وحطمت قواها البحرية ، وفقدت كوبا وباقى مستعمراتها فى الهند الغربية ، وفقدت أيضا جزائر الفلبين الغنية فى الهند الشرقية ، ولم يبق لها شىء من تراثها العريض فيما وراء البحار وكبدتها الحرب نفقات باهظة أنضبت مواردها وأثقلت كاهلها مدى حين .

وفى مايو سنة ١٩٠٢ توج الملك الفونسو الثالث عشر ، وهو فى السادسة عشرة من عمره ، وتولى زمام الحكم ، وبدأ بذلك عهد جديد فى الملوكية الاسبانية استطال مدى ثلاثين عاما ، وكان عهد الفصل فى تاريخها . وأبدى الفونسو منذ ولايته همة ونشاطا ، بيد انه لم يمض نحو عام حتى توفى السينور ساجستا رئيس الوزارة وزعيم الاحرار ؛ وكان سياسيا بارعا يتمتع بكفايات جمة ، فاضطربت شؤون الحكم ، وانتقلت السلطة الى المحافظين ، وتعاقبت منهم فى الحكم خمس وزارات فى نحو ثلاثة اعوام ، وأخذ الملك الجديد يواجه كل الصعاب التى واجهها اسلافه . وكان الفونسو الثالث عشر يبدى منذ البداية ميولا رجعية قوية ويلتمس الوسائل المختلفة لمقاومة النزعات الحرة والحريات الدستورية ، ويعتمد فى تنفيذ سياسته على العناصر الرجعية المحافظة ويجمعها حوله ؛ وكان ذلك سببا فى بث السخط حول العرش وحول شخصه حتى أنه دبرت يوم زواجه من الاميرة فكتوريا اوجينى ابنة اخى الملك ادوارد السابع ، أول محاولة لاغتياله (سنة ١٩٠٦) ، وبدأت من ذلك الحين سلسلة من الاعتداءات على شخصه شاء القدر ان ينجو منها جميعا . وكانت الحركات والنزعات الديمو قراطية والثورية اثناء ذلك تنمو وتشتد وخصوصا فى مقاطعة قطلونية . وكانت قطلونية فوق ذلك مسرح

حركة انفصالية قوية ومهد معركة مضطرمة بين الوطنيين القطلان والراديكاليين المركزيين بزعامة السينور ليرو . وعاد الاحرار الى منصة الحكم منذ سنة ١٩٠٥ على يد زعيمهم موريه واستمروا بضعة أعوام ؛ ولكن الملك مالبث أن عاد الى محالفة المحافظين ، وكانت المسألة المراكشية تشغل اسبانيا منذ حين ، وكانت قد سويت مع فرنسا فى سنة ١٩٠٤ بمعاهدة فرنسية اسبانية ، اعترف فيها بحقوق اسبانيا ، وحددت المنطقة الاسبانية تحديدا يرضى امانيها . ولكن المسألة المراكشية استمرت شغلا شاغلا للسياسة الاسبانية ، بل غدت كما سنرى كابوس السياسة الاسبانية مدى اعوام طويلة ، وكانت عاملا جوهريا فى تطور الحوادث فى اسبانيا ، وفى تذرع العناصر الرجعية باقامة حكم الطغيان الشامل الذى لبث عدة أعوام يخمد انفاس الشعب الاسبانى ، ثم انتهى بذلك الانفجار الحاسم الذى حطم صرح الملوكية القديمة ، وحقق فى اسبانيا آمال الديموقراطية كاملة شاملة .

وخلف المحافظون الأحرار فى منصة الحكم على يد زعيمهم السينور مورا ، وفى ذلك الحين اشتدت الحركة الثورية فى قطلونية ، واضطرمت الحرب فى مراكش فى نفس الوقت لأن بعض قبائل الريف هاجمت الخط الحديدى الذى يربط المناجم الأسبانيـــة ؛ وقررت الحكومة أن تعبئ الجنود الاحتياطية القطلونية ، فثارت قطلونية احتجاجاً على ذلك ، ونظم اعتصاب عام فى برشلونة امتد الى باقى أنحاء الولاية (يوليه سنة ١٩٠٩) ، وانفجر بركان الثورة فقبضت العسكرية على زمام السلطة ، وقمعت الثورة بمنتهى القسوة ، وأعدم الزعيم الثورى فرانشيسكو فيرر ؛ فازدادت البلاد سخطاً ، واضطرت الوزارة المحافظة الى الاستقالة ، وعاد الأحرار الى الحكم أولا على يد السينور موريه ، ثم بعـــد استقالته على يد السينور كاناليخاس (فبراير سنة ١٩١٠) . واستمرت الوزارة الحرة فى الحكم حتى مقتل رئيسها كاناليخاس فى نوفمبر سنة ١٩١٢ . وامتاز هذا العهد بحادثين فى منتهى الخطورة ، أولهما : اضطرام المعركة بين الحكومة الحرة والكاثوليـــك ، بسبب اضطهاد الحكومة للكاثوليك وسخط الفاتيكان من أجل ذلك ؛ والثانى قيام الخلاف بين اسبانيا وفرنسا بسبب المسألة المراكشية . وكانت فرنسا تزداد توسعاً فى مراكش حتى شعرت اسبانيا أنها تهدد منطقتها ومصالحها ؛ وانتهزت ألمانيا هذه الفرصة للتنويه بمصالحها فى مراكش ، وأرسلت الطراد « بانتير » الى مياه أغادير بحجة حماية مصالحها ، واضطرت فرنسا أن ترضى ألمانيا بتحقيق بعض مطالبها فى الكونغو ، واضطرت من جهة أخرى أن تحترم سيادة اسبانيا على المنطقة الأسبانية . وكان ذلك فوزاً للوزارة الحرة ، ولكن اشتدادها فى إخماد الحركة الثورية فى قطلونية انتهى بمقتل رئيسها (نوفمبر سنة ١٩١٢) ؛ فخلفتها وزارة محافظة برئاسة السينور داتو لبثت فى منصة الحكم حتى ديسمبر سنة ١٩١٥ ، وفى عهدها نشبت الحرب الكبرى . وأعقبتها وزارة حرة برئاسة الكونت رومانونيس ، فاستمرت حتى أوائل سنة ١٩١٧ . ولزمت اسبانيا الحياد أثناء الحرب ، واستفادت من حيادها فوائد تجارية واقتصادية جمة وتمتعت بفترة من الرخاء الحسن ؛ وكان الرأى العام الاسبانى خلال الحرب يتراوح بين تأييد الحلفاء وتأييد ألمانيا . فالأحرار وأحزاب اليسار تميل مع الحلفاء ؛ والأحزاب المحافظة ورجال الدين يميلون مع ألمانيا . وكان السلام الذى تمتعت به اسبانيا خلال الحرب نعمة سابغة وعاملا كبيراً فى استقرار شئونها وأحوالها .

وفى أواخر سنة ١٩١٧ تحركت احزاب اليسار (الاحزاب الاشتراكية) كرة أخرى ، ودبرت اعتصابا عاما فى جميع اسبانيا . وكانت الديمقراطية ترمى بهذه المحاولة الى تحطيم النظام القائم ، وإقامة جمهورية اسبانية ديموقراطية ، ولكنها اخفقت فى تدبيرها واستطاعت العسكرية أن تسحق الثورة فى مهدها . وكانت العسكرية تتطلع دائما الى بسط نفوذها وسلطانها على شئون الحكم ، وكانت ترى من حقها بعد أن انقذت الملوكية والنظام القائم من ثورات الديموقراطية غير مرة ، أن تستأثر هى بالسلطة ، وأن توجه سياسة البلاد طبقا لرأيها ، وقد استطاعت فى الواقع ان تحقق هذه الغاية الى حد كبير على يد الوزارة المحافظة التى قامت يومئذ برياسة السينور جارسيا بريتو ، وتولى فيها وزارة الحربية رجل من رجال العسكرية هو الجنرال لاتشيرفا ، ولكن هذا الطغيان العسكرى لم يطل يومئذ امده لما ابداه لاتشيرفا من عجز وصلف ؛ فسقطت هـــذه الوزارة المسيرة ؛ والفت وزارة حرة برئاسة الكونت رومانونيس (ديسمبر سنة ١٩١٨) ؛ وعلى يد هـذه الوزارة التحقت اسبانيا بعصبة الامم التى كانت يومئذ معقد كثير من الآمال والامانى . ولكن الوزارات الحرة كانت تصطدم دائما بعثرات وصعاب جمة سواء من جانب العرش ، وقد كان يؤثر دائما جانب

الطغيان والقمع ويعتمد على مؤازرة العناصر الرجعية والعسكرية والدينية ، أو من جانب العسكرية وقد كانت ترهق بضغطها كل حكومة لاتذعن لارادتها ووحيها . فسقطت وزارة رومانونيس ، وخلفتها وزارة محافظة برئاسة السينور مورا ، ثم وزارة محافظة أخرى برئاسة السينور توكا . وكانت هذه الوزارة الأخيرة وزارة قوية مستنيرة ، ولكنها اصطدمت بارادة العسكرية ولم تذعن لها ، فاستقالت مرغمة ، ولكن المحافظين استمروا فى الحكم ايضاً ، أولا على يد السينور سالازار ثم على يد زعيمهم السينور داتو الذى الف الوزارة الجديدة فى مايو سنة ١٩٢٠ . وكانت اسبانيا ترزح يومئذ تحت خطبين عظيمين : أولهما اضطرام الثورة فى قطلونية ، وثانيهما اضطرام الحرب فى مراكش ؛ وكانت حوادث قطلونية دائمة كابوس السياسة الداخلية ، كما كانت حوادث مراكش كابوس السياسة الخارجية ، فحاولت وزارة داتو أن تقمع الثورة فى قطلونية وانساقت كالعادة الى القسوة والتطرف متأثرة بارادة العسكرية والعرش ، ولكنها لم تفلح فى اخماد الهياج ، وانتهى الامر بمقتل رئيسها (مارس سنة ١٩٢١) ؛ فعاد السينور سالازار الى تأليف الوزارة الجديدة ؛ وهنا تطورت حوادث مراكش تطوارا خطيرا نرجىء شرحه الى الفصل القادم .

محمد عبد الله عنان
المحامى

عدد الرسالة الممتاز

يصدر يوم الاثنين القادم فى ضعف العدد المعتاد حافلا بصحائف المجد العربى لاقطاب الادب والبيان فى مصر وفى الاقطار العربية وسيباع بقرش صاغ واحد فاجتهد الا يفوتك

فضيـــلة ... !

للاستاذ اديب عباسى

والفضائل كالرجال : منها المائع المسترخى ، ومنها الشديد الصلب الذى لا ينثنى ، ومنها المقرور مفرط القر ، ومنها المشبوب مفرط الحر ، ومنها مرهف الحد نافذ الشفرة ، ومنها كثير الفلول كليل السطوة ، ومنها الذليل المستعبد ، ومنها الابى المستكبر ، ومنها الواضح البين ، ومنها الذى ليس له أول ولا آخر . وتستطيع أن تمضى فى المقارنة الى آخر ما يحضرك من صور للرجال ونماذج . ولا عبرة بما يوحيه اللفظ من معانى القداسة والاشتقاق من الفضل . فانت تعرف جيدا أن الفضائل كالرجال أيضا تخضع لملابسات الحياة وتعنو للزمن ، وتنال من دهرها تقديراً عادلا حيناً ، وتقديراً جائراً أحيانا اخرى .

وفى عصور النضال العنيف والجهاد المحرج يقسر الناس على التفطن الى جميع مناحى الحياة دقيقها وجليلها ، ويحملون على تناول موادها تناولا سريعا مرتجلا لا اشفاق فيه — غالبا — على ماض تليد ولا مستقبل موموق بعيد . والذى يربح المعركة للقوم من هذه المواد هو الذى لا شك يربح البقاء والخلود .

ولعل الشرق فى هذا الوقت الحافل بجميع ضروب النزاع الملىء باقرب الاحتمالات وابعدها ، هو احوج ما يكون الى أن يكر راجعا الى هذا الكتاب القديم الذى دونت فيه فضائلنا ، ويطمس بالقلم العريض هذه الاسطر المجرمة التى تسىء الى رجولة الشرق ، وتنتقص من حيويته الفردية ثم حيويته الاجتماعية ، وعملية التنقيح فى الاخلاق والفضائل هذه هى عملية قديمة خبرها اليونان والرومان والعرب وغيرهم ، وخبروا خيرها أصدق مختبر . ولعل أشد عصور هذه الأمم سواداً هى العصور التى كانت فيها عين الرقيب فى غفوة عنها ، فشبت بعض هذه الفضائل من رقدتها ونشبت تنهش فى الحياة وتوالى تمزيقها الى أن أحالتها فى النهاية رسما لجسم ، وبقية من جثة

والحياء — كما تعلم — من أقدم ماخذ فى كتابنا الاخلاقى — الحياء لا بمعنى صرف النظر وتحويل الفكر عن الشهوات والملاذ الدنيئة — بل الحياء بمعنى اعطائك سيفك لخصمك ليقتلك به ، أو

الارتماء على فجوة بين حائطين ليعبر عليك الى غايته من هو دونك ، أو السير وراء الناس من بعد تلتقط بقايا الزاد وفتات الاطعمة .

ان سبيل النجاح سبيل واضح لا يخطئه النظر الصائب والاستعداد الصادق . فاذا رمت السير فيه غير مرفوع الرأس موفور الثقة بالنفس ، فاحر بك ان تجدك فى آخر الطريق او موطئاً للاقدام . ان الزحام على طيبات الحياة لا يدعك تسير فى رفق وعلى مهل . وخجلك الذى تخجل واستكانتك التى تستكين ، ليس لهما الا نتيجة واحدة تعرفها لاشك تمام المعرفة . وهى لاريب الحرمان والخيبة على حين قد تكون وانت المحروم اكثر الناس استعداداً واحقهم بالفوز

تقول كاتبة فرنسية : ما من حياة الا ويمكن ان تكون ضرراً على حياة أخرى او اكثر . فاذا صدقت كاتبتنا فيما تقول ـ وما اخالها الا صادقة ـ فما معنى ذلك ؟ معناه ان نجاحك فى سعى أو سبقك الى غاية هو فى الواقع حرمان لواحد أو أكثر ممن عداك . فهو ـ لذلك ـ مدفوع بغريزته الى مزاحمتك وإقامة العراقيل فى وجهك ليصرفك عن النجاح فى هذا المسعى او السبق الى تلك الغاية . وهو غالباً لا يكتفى بان يوقفك حيث انت بل تراه لايحجم ولا يتجمجم ان يدفعك خطوة او خطوات الى الوراء ، فذلك اضمن لفوزه وأكفل بنجاحه .

ونحن لاندعو الى اطراح الخجل والمزاحمة بالمناكب لنقف عند هذا الحد من تقوية الانانية الفردية واحتجان معظم الخير للنفس . ولكن يقيننا الذى لايتسرب اليه الشك هو ان من احسن نيل حق خاص واجاد فى مدافعة الاخصام عنه يحسن أيضاً المدافعة عن حق عام والمساهمة فى نصرته . والمرء فى أمم الغرب العريقة يزج فى اتون من الخصام العنيف والنضال الشديد فما يزال ينحى ويذود عن نصيبه الموموق وحقه المشروع حتى يناله . فاذا دعا داعى التضحية العامة والبذل المطلق كان صاحبنا هذا فى اول الملبين وطليعة المستجيبين . وماذلك الا ان فضائل الصبر والاحتمال يصيبها المرء من هذا النضال مضافا اليها استشعاره الرضى كل الرضى عن هذا البلد الذى يظلله ويهيىء له من فرص النجاح على قدر استعداده ، هى مما يحبب اليه هذا البلد ويدعوه الى المسارعة فى البذل له والتضحية من أجله وليس من باب المصادفة المحضة ان تجد الانكليزى اكثر الخلق مطالبة بحق خاص ، واكثرهم فى ذات الوقت مطالبة بحق عام

ثم لا تحسبن انتفاء الحياء والخجل يولد الغرور ويشجع على القحة كما قد يتبادر الى الذهن . والصواب أن نقول : ان انتفاء الحياء بالمعنى الذى أردت هو قتل للغرور واستئصال للقحة . وذلك أن ظهور الجميع بمظهر الصراحة والثقة بالنفس لايدع للدعى مضطرباً يضطرب فيه أو مجالا يصول فيه ، اذ لا يبقى حينها رائجا الا سوق الجدارة والاقتدار . ولو انتفى المزاحمون لراح هؤلاء الأدعياء المغرورون يملأون الدنيا صياحا وصخبا وادلالا بقوتهم وسمو مواهبهم :

زد على هذه المحاذير ان الحيى بانزوائه قد يحرم المجتمع الذى يعيش فيه كثيراً من الثمار الطيبة والجنى اليانع الذى قد لا يخصب خصبه المطلوب فى غير نفسه . وحبذا لو درس أصحابنا الخجلون هؤلاء شيئاً من صحائف الطبيعة الناطقة ، ولقنوا بعض دروسها العملية . إذاً لكانوا يشفون من مرضهم المخامر هذا . لينظروا الى الزهرة ترفع جيدها لتستقبل الشمس ، وليلاحظوا الرياح تذرو النبتة لا تتشبث جهد التشبث فى أديم الارض ، وليلحظوا أيضا الزهرة الجميلة لا يفوح عطرها يأتى عليها منجل الحاصد وتلقى بينما يلقى أمام البهائم . ثم لينظروا الى ذلك الطائر الجميل يتخذ من رواء ريشه وجمال زينته وسيلة للتشبث بأسباب الحياة . وليصغوا أيضا الى ذلك الطائر عينه يملأ الارض برجع صوته الرخيم ، لا ليشنف أسماعهم ، بل ليكون له مما تصوغه حنجرته الصغيرة وسيلة يستبقى بها النوع ويستديم الذرية .

ان المرونة الخلقية لا بأس بها ، ولكن ليس الى الحد الذى يصبح عنده الانسان كالاسفنج تعتصر كل ما فيه من حياة دون أن يأسى أو يتألم ، فيحاول المدافعة عن نفسه بالتى هى أحسن أو بالتى هى أشر . الحرير لا بأس به لباسا للمترفين ، ولكنه بئس اللباس للمحاربين . فلنكن إذاً الشوكة تدمى الأنامل وتؤذى الملمس لا الوردة تنثر غلائلها أو الشهد يستساغ منهله .

شرق الأردن — أديب عباسى

مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامى

الشـــطرنج

كيف اخترع ؟ — تطوراته بين الأمم القديمة

لعبة الشطرنج من أدق اللعب الفكرية وأهمها وأنفعها . بل هى معيار لقوة الذكاء والمهارة والحذر والدهاء والاقدام ، لأنها دقيقة فى وضعها ، دقيقة فى لعبها ، تروض الانسان على التحذر وسعة الحيلة وتدفعه إلى المجازفة اذا ماتبــين له فيها بريق أمل من الفائدة .

إن هذه الرقعة التى يلعب عليها اللاعبون بقطع من الخشب مصورة ذات أسماء موضوعة ، إنما هى ملعب الحياة ، ومضمار السباق والرهان فيها ، بل هى سر الحياة والعظمة ، والموت والمهانة والزراية ، ففيها يعـــلو الصغير إلى منصة العرش ، وفيها تخطو الفرس ثلاثا فتعلو على الشاه فتلقيه بحافرها ، هــذه وغيرها كلها مشاهد فى لوحة هذه الحياة التى تعتورها دائما ظروف شاقة لا يحتملها غير ذى الصبر والجلد الذى يفسح له من الآمال مجالا ، ويجعل بين حدى الفشل والنجاح اتصالا .

لا يوجد من الأسانيد التاريخية القديمة شىء محقق يدل على تاريخ وجود هذه اللعبة الفكرية كما حققت هذا « دائرة المعارف الفرنسية » وكل ما عرفوه عنها راجع إلى العهد الذى ذاعت فيه ، فقد كان للقدماء ألعاب شتى بالطبع يلهون بها فى فراغهم لترويح نفوسهم . وقد تشاهد منقوشة على الآثار المصرية القديمة ولكن لم تعرف لهـا قواعد

« وقد قيل فى أساطير الاولين إن أول من اخترع لعبة الشطرنج هو (بالاميد) إبان حصار طروادة وقد صدرت جريدة خصيصة بهذه اللعبة اسمها (بالاميد) .

وللشطرنج أسماء قديمة تباين اسمه العصرى ، فقد كانوا يطلقون عليه فى أوروبا فى القرون الوسطى ، عندما كانت اللغة اللاتينية ذائعـــة فى ذلك الحين اسم (لودوس لاترنكو لوروم) وكانوا فى الهند يسمونه قديما (شطرونجا) وأطلقوا عليه فى القرن السادس اسم (شانورانجا) وتسربت هذه اللعبة الى فارس وبلاد العرب وغيرها من مختلف البلاد . ولعل أول عهد لاوروبا بها كان القرن السادس عشر وأخذت تذيع فيه الى حد أن تألفت فيها مجامع ومدارس وجرت مسابقات بين البلاد وعقدت مؤتمرات خصيصة بها وغامر فيها الغاوون بضياعهم ورؤوس أموالهم حتى لقد فقد واحد كل ما ملكت يداه فى سبيل لعبة واحدة فلم يحزن لانه أضاعها بغلطة فكرية .

ولعبة الشطرنج فى ذاتها ، فكرية تبعد بالناس عن كل موبقة وتصرفهم عن كل إثم ، فأنت ترى الجالس أمام الرقعة مقصور النظر والفكر عليها ، لا مطمع له إلا أن ينهمك فى المغامرة ليغلب بجد ، ويدفع عن حياض فكره بحق .

وللاعبين حيل غريبة فى التغلب ، فان الدهاء لابد أن يكون الآلة العاملة مع الفكرة ، مثال ذلك أن اللاعبين فى أوروبا فى القرن الخامس عشر كان أحدهما إذا لاعب الثانى ليلا جعل الضوء الى يساره ، واذا مالاعبه نهارا اجتهد فى ان يجعل خصمه إزاء الضوء حتى يضلل بصره . وقد كانت هذه الطريقة التى جرى عليها (فنسان) و (دى لوسينا) وهما من اشهر اللاعبين الاوربيين فى ذلك الحين .

وقد كان للعرب القدح المعلى فى هذه اللعبة ، وكانوا يسمون الملك « شيخاً » ، وهو الذى أسماه الفرس « شاها » ، وجرت تسميته حتى الآن .

وقد روى « الصفدى » أنه رأى غير مرة فى دمشق سنة ٧٣١ ه شخصا يعرف « بالنظام العجمى » وهو يلعب الشطرنج غالبا فى مجلس « الصاحب شمس الدين » ورآه أول مرة يلعب مع « الشيخ أمين الدين سليمان » رئيس الأطباء فغلبه مستدبراً ولم يشعر به حتى ضرب « شاه مات » بالفيل .

وحكى له عنه أنه يلعب غائبا على رقعتين وقدامه رقعة يلعب فيها حاضراً ويغلب فى الثلاث . وكان الصاحب يدعه فى وسط الدست ويقول له عد لنا قطعك وقطع غريمك فيسردها جميعها كأنه يراها .

وأجمع بعض من المؤرخين على أن السبب فى اختراع لعبة الشطرنج راجع الى عهد الملك « تلبيت » ملك الهند الذى أحزنه أن يضع « شيربابك » أحد ملوك الفرس « النرد » وهو رموز على السنين والحساب ، والأشهر ، والأيام ، والأسابيع ، والقضاء والقدر ، الى غير ذلك . فعمد حكيمه « صوصة » الى اختراع لعبة تفوق تلك وتعد فخاراً للهند . فاخترع لعبة « الشطرنج » التى أجمع حكماء ذلك العصر ومفكروه على تفضيلها . فلما أن عرض اختراعه على الملك أعجب به وطلب منه أن يتمنى عليه ما شاء من جزاء ،

فتمنى عدد تضعيفه حبات قمح ، فأنكر عليه الملك هذا الطلب التافه فألح المخترع فى إجابة طلبه . فحسب أهل ديوان الملك هذا التضعيف ثم قالوا له إن ما عندنا من القمح هو دون الطلب ، فدهش ، ثم أوضحوا له الأمر فأعجب به لأن تضاعف الأعداد الى البيت السادس عشر أسفر عن اثنين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانية وستين حبة من القمح . فكيلت قدحا ، ثم ضوعفت أجزاؤها الى البيت العشرين . فكانت ويبة ، ثم ضوعفت هذه الأرادب فكانت فى البيت الأربعين مائة وأربعة وسبعين ألفا وسبعمائة واثنتين وستين أردبا وثلثى الأردب . ولما كان الأردب ستة وتسعين قدحا فان هذا القدر يملأ شونة ، ثم ضوعفت الشونة الى البيت الخمسين فكانت الجملة ألفا وأربعا وعشرين شونة ، وهذا القدر يعادل فسيح مدينة ، ثم ضوعفت المدينة الى البيت الرابع والستين وهو آخر بيوت رقعة الشطرنج ، فكانت النتيجة ستة عشر ألفاً وثلثمائة وأربعا وثمانين مدينة وهو ميزان الرقعة جميعها . فان جمع من البيت الأول الى الثالث والستين كان الحاصل مساوياً لما فى البيت الرابع والستين لا ينقص عنه غير حبة بر واحدة ، ثم جمع ما فى الرقعة جميعها فكان اثنين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانى وستين مدينة . فعجب الملك ومن حضر مجلسه العجب كله .؟

أبو بكر طاهر مؤمن

كتاب المفصل

فى تاريخ الأدب العربى

للسنتين الرابعة والخامسة من المدارس الثانوية

أتمت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » طبع هذا الكتاب وهو من تأليف لجنة شكلتها وزارة المعارف من الأساتذة احمد الاسكندرى واحمد امين وعلى الجارم وعبد العزيز البشرى واحمد ضيف — ويشمل تاريخ الأدب العربى من العصر الجاهلى الى الآن

ويقع فى جزءين مجلدين فى نحو ستمائة وخمسين صفحة وثمن الجزء الأول منهما عشرة قروش والثانى خمسة عشر قرشا ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة

مهجور اللغـــة

روى أن ابن زيدون قام على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما سمع يجيب أحداً بما أجاب به غيره ، قال الصلاح الصفدى : وأقل ما كان فى تلك الجنازة ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يشكر له ، فيحتاج فى هذا المقام إلى ألف عبارة مضمونها الشكر .

وورد أن ابن نباتة الخطيب المصرى أملى مجلدة معناها من أولها الى آخرها « أيها الناس اتقوا الله واحذروه فانكم اليه ترجعون »

وكان الحريرى صاحب المقامات كلما جمع بين الحارث بن همام وأبى زيد السروجى وأراد أن يفرق بينهما بقوله « فلما أصبح الصباح » أتى بعبارة تغايرها لفظا فى كل مقامة .

وليس فى هذا كله ما يدعو الى الغرابة وإن دل على البراعة ، فان اللغة العربية تمتاز من سائر اللغات بكثرة الترادف فى الالفاظ والتعدد فى الصيغ ، يذكرون أن للخمر فيها مائتى اسم وللجمل خمسمائة وللسيف ألفا ، وهذا مما يساعد الكتاب على التوسع فى العبارة ، ويعينهم على التفنن فى أساليب الكلام ، ولكن العجز قعد بكتابنا عن أن يحفظوا على اللغة هذه الميزة وأن ينتفعوا بها فى كتاباتهم ، فهم يصيغون عباراتهم على نمط واحد ، ويجرون فى أساليبهم على طريقة متفقة ، وتجدهم يستعملون ألفاظا محدودة ، وأبنية متكررة ويميلون الى الترهل واللين ، حتى أصبحت ثروتنا اللغوية يكتنفها الابهام والغموض ، وأصبحت أساليبنا فى الكتابة ضعيفة واهية لا تلمح فيها أثراً للفن والجمال .

وكتابنا معذورون فى هذا ماداموا لايشتغلون بمتن اللغة ، فقل منهم من يهتم بكتاب اسمه « القاموس » أو « اللسان » أو « أساس البلاغة » وقل منهم من يعرف شيئا اسمه « فصيح ثعلب » « فقه اللغة » أو غير ذلك من كتب اللغة ، يكتفى الواحد منهم بأخذ لغته من الصحف والمجلات ، وبمعرفة جمل من الألفاظ من نوع « فحسب » ومهما يكن من شىء ، ليجعل نفسه فى عداد الكتاب ثم لايستحى من اتهام اللغة العربية بالعقم ونضوب المادة ورميها بالتأخر والقصور !!

أنا لا أرجو من الكتاب أن يترسموا طريق ابن زيدون فى

كتابته ، ولا أن يذهبوا مذهب ابن نباتة فى أسلوبه ، ولا أن ينهجوا منهج الحريرى فى سجعه وتكلفه ، وإنما أدعوهم الى التمكن من فقه اللغة ومتنها ، والانتفاع بالقواميس والمعاجم فان هذا مما يساعدهم على تلوين الخطاب وإحياء كلم اللغة الميتة ، فكم فى لغتنا من ألفاظ مهجورة ، وكم فى قواميسنا من مفردات مهملة ، مع أنها تصلح للاستعمال والتداول على أسلات الاقلام ، فمثلا كلمة « يتمعج » بمعنى يتلوى ويتثنى لاتجد الكتاب يستعملونها مع أنها سهلة النطق والرسم وقد تكون أولى مرادفاتها فى الاستعمال ، ومثلها كلمة « يعمس فى الامر » بمعنى يتجاهله ويتغافل عنه إلى غير ذلك من الكلمات التى نحن فى حاجة الى احيائها والتى فى تداولها تغزير لمادة الكتاب

وإحياء مهجور اللغة ليس معناه ان تستعمل كل كلمة غريبة مجهولة ، وان تجريها على أى وجه كان ، وتدرجها فى أى عبارة كانت ، وإنما هذا مقام يحتاج إلى البراعة والدقة ، وورد عن ابن شهيد الاندلسى انه قال « جلس إلى يوما يوسف الأسرائيلى ، وكان أفهم تلميذ مر بى وأنا أوصى رجلا عزيزا على من أهل قرطبة وأقول له : إن للحروف أنسابا وقرابات تبدو فى الكلام ، فاذا جاور النسيب النسيب ، ومازج القريب القريب ، طابت الألفة وحسنت الصحبة ، وإذا ركبت صور الكلام من تلك ، حسنت المناظر وطابت المخابر ، أفهمت ؟ قال إى والله ! ! قلت له وللعربية إذا طلبت ، وللفصاحة إذا التمست ، قوانين من الكلام ، من طلب بها أدرك ، ومن نكب عنها قصر ! أفهمت ؟ قال نعم ، قلت : وكما تختار مليح اللفظ ورشيق الكلام فكذلك يجب أن تختار مليح النحو وفصيح الغريب وتهرب من قبيحه قال : أجل ، قلت : أتفهم شيئا من عيون كلام القائل ؟

لعمرك إنى يوم بانوا فلم أمت   خفاتا على آثارهم لصبور
غداة التقينا إذ رميت بنظرة   ونحن على متن الطريق نسير
ففاضت دموع العين حتى كأنها   لناظرها غصن يراح مطير

فقال : إى والله ! وقعت « خفاتا » موقعا لذيذا ووضعت « رميت » و « متن الطريق » موضعا مليحا ، وسرى « غصن يراح مطير » مسرى لطيفا ، فقلت له : أرجو أنك تنسمت شيئا من نسيم الفهم ، فاغد على بشىء تصنعه الخ .

وفى هذه الحكاية يشرح لنا ابن شهيد كيف يكون استعمال الغريب وإحياء المهجور من الألفاظ ، فيرى أن تختار الكلمات الصالحة ، وأن يراعى فى وضعها القرابة والنسب ، حتى تحسن الصحبة وتطيب الألفة ، وهو رأى صحيح ولكنه يحتاج فى تنفيذه كما قلنا إلى البراعة والدقة ، فلعل الكتاب يستجيبون لدعوتنا ، ولعلهم يراعون هذا فى كتاباتهم فيكونوا قد بروا بلغتهم وخدموا أساليبهم ؟

الزقازيق   **محمد فهمى عبد اللطيف**

الالوان والصور فى شعر ابن الرومى

الشعر تمثيل وتصوير ، قبل أن يكون لفظاً منمقاً وكلاماً مزوقاً ، وكما تعجبنا دقة الراسم حينما يبرز الأضواء والظلال ، والألوان والشكول ، لصورة من الصور ، فكذلك تعجبنا يقظة حواس الشاعر حين يصور لنا فى منظومه وابياته مايرسمه الراسم بريشته وألوانه ، وحين يبدى لنا الشاعر حور العيون ، وسحر الجفون ، وحمرة الخدود ، وبروز النهود ، بتمثيل وتصوير لا بريشة والوان ، كلا الفنانين ممثل للحقيقة ، الا ان الراسم يصوغها شكولا والواناً ، والشاعر ينقلها شعوراً ووجداناً

قد يجتمع — وهذا نادر — للراسم خيال الشاعر ، وللشاعر دقة الراسم ، فان كان شىء من ذلك فقد استوى كل منهما على عرش الفن - فأى الرجلين كان ابن الرومى ؟

كان ابن الرومى رساماً فناناً ، ومصوراً ماهراً ، مرهف الحواس شديد التأثر بالطبيعة كأن أعصابه اسلاك كهرباء وعينيه عدسة الكاميرا ينطبع عليها مختلف المناظر والصور . وكأن أذنه - ميكرفون - موكل بالتقاط دقيق الأصوات وجليلها . وكان ابن الرمى ايضاً شاعراً مطبوعا واسع الخيال ، خصب الشعور ، مشبوب العاطفة . ولئن حق لابى العلاء ان نسميه شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء . فمن حق ابن الرومى ان يكون شاعر المصورين ومصور الشعراء . لان فى شعره دقة المصور وتعدد الوانه ، وروعة خيال الشاعر وسمو عواطفه . وهو حين يصف قينة شادية ، يستهويك من شعره عاطفة مشبوبة وخيال خصب ، ثم تصوير دقيق واتقان للألوان الطبيعية .

وقينة إن منحت رؤيتها   رضيت مسموعها ومنظرها
شمس من الحسن فى معصفرة   ضاهت بلون لها معصفرها

فى وجنات تحمر من خجل كأن ورد الربيع حمرها

وللمشاهد الطبيعية الفاتنة، ومجالى الربيع المونقة، لوحات ساحرة فى شعر ابن الرومى ونحب ان نعرض عليك لوحة من هذه اللوحات لترى صدق قولنا. قال يصف روضة

وجادها من سحابة ديم   ورّد انوارها وعصفرها
وساق من حولها جداولها   فشق أنهارها وفجّرها
فارتدت الماء من جوانبها   فزانها ربنا ونضرها
أمامها بركة مرخمة   ترضى اذا ما رأيت مرمرها
أعارها البحر من جداوله   لجا غزير المياه أخضرها

افلا ترى انك فى كل بيت، حيال زهرة تقطفها، وريحانة تنشقها، وبركة إطارها من مرمر ومياهها أشبه بمياه بحر أخضر؟

ثم إن حاسة اللون عند ابن الرومى حاسة زاكية متوفرة: وهى فى شعره بمنزلة علبة الالوان عند الرسام. لاتقوم صوره الا بها، ولا تأخذ حظها من الحياة والحركة الا باصباغها. فحين يصف لك الكأس تترقرق فيها الخمر لايشبهها بحصباء من الدر على أرض من الذهب، وانما يوكل بها حاسة اللون الزاكية اليقظة فلا تكاد تعرض الا لونها البراق وشعاعها الخفاق. وقد يكون حظ ابن الرومى من تألق الخمرة ولهيبها. أكبر من حظ أبى نواس من نشوتها ودبيبها

صفراء تنتحل الزجاجة لونها   فتخال ذوب التبر حشو أديمها
لطفت فقد كادت تكون مشاعة   فى الجو مثل شعاعها ونسيمها

ولقد عرض قوس قزح لعيون الشعراء ماعرض، فلم نر شاعراً قبل ابن الرومى أو بعده استطاع أن يصور ألوانه الطبيعية فى اياته تصوير الرسام له فى لوحته وألوانه. فأنت تحت سحاب مطرز بالألوان، مرصع الأردان مادمت تقرأ له هذه الأبيات

وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا
من الجو دكنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السحاب بأخضر
على أحمر فى أصفر اثر مبيض
كاذيال خود أقبلت فى غلائل
مصبغة والبعض أقصر من بعض

وأحب أن تلتفت الى البيتين الأخيرين فان فيهما من جودة التصوير ومهارة تثبيت الالوان ما يعجز عنهما شاعر غيره.

وابن الرومى حين يصف القيان الشوادى والجوارى الفواتن يدرن الكئوس ويملكن النفوس، يبرز لنا أعضاءهن عضوا عضوا ويعرض علينا أجسامهن عرضا، حتى لاتفوتنا بضاضة الاهاب ولا شفافة الثياب

من جوار كأنهن جوار   يتسللن من حياة عذاب
لابسات من الشفوف لبوسا   كالهواء الرقيق أو كالسراب
فترى الماء ثم والنار والآ   ل بتلك الأبشار والأسلاب

وكما كانت حاسة اللون اليقظة تصور اختلاف ألوان الطبيعة وتباين شكولها فلا تفوتها خافقة أو بارقة. كذلك كانت اذنه السامعة المرهفة تلتقط أدق الأصوات وأخفى النغمات. وهو حين يصف لنا صوت المغنية وحيد، لايصف غناءها فحسب، بل ينقل لنا بأذنه الحساسة رقيق نغماتها ولطيف نبراتها وعذوبة صوتها نقلا يشبه نقل الميكرفون.

مد فى شأو صوتها نفس كا   ف كأنفاس عاشقيها مديد
وأرق الدلال والغنج منه   وبراه الشجا فكاد يبيد!
فتراه يموت طوراً ويحيى   مستلذ بسيطه والنشيد
فيه وشى وفيه حلى من النغ   م مصوغ يختال فيه القصيد

ما هذا شعر! إن هو الا حاكٍ يحكى واسطوانة تغنى

ولو أردنا أن نعرض عليك أشعاره فى وصف الاقزام والمحدودبين لحسبت نفسك أمام شريط سينمائى تطالعك فيه هذه الصور المضحكة. ولكن من الخير أن نكتفى بصورة واحدة من هذا الشريط وهى صورة الأحدب

قصرت أخادعه وطال قذاله   فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة   وأحس ثانية لها فتجمعا

فقد شخص لناظر القارىء فى هذين البيتين صورة طبق الاصل للاحدب يعجز عن تصويرها أمهر المصورين.

وجملة القول فى شعره انه كان تعرض له الصورة أيا كان نوعها فلا يصورها بحاسة واحدة وانما يوكل بها حواسه كلها. فترسم عينه أشكالها وألوانها وأضواءها وظلالها ولمحاتها وخلجاتها، وتنظم أذنه صوتها وجرسها، وينقل الأنف عرفها وريحانها، واللمس وقعها وأثرها. أى أن جميع حواسه اليقظة تنهض فى تصوير هذه الصورة حتى تبرزها موفورة الحظ من الحياة، وفى هذه الأبيات يصف فيها شمس الأصيل وهى تجنح عن روضة، غنى عن الشرح

الادب العربي والادب الغربي

على ذكر رواية خسرو وشيرين

لا ريب أن الأدب العربي مقصر دون الأدب الغربي في كثير من النواحي . برغم ماله من الميزات الخاصة وبرغم عراقته وحداثة الأدب الغربي بالنسبة اليه . فقد سار الأدب الغربي بخطى واسعة وتطور في عصوره . على حين سار الأدب العربي دائما على نمط يكاد يكون واحداً . وكبا بعد العصر العباسي الزاهي كبوة لم يقل منها الا اليوم . وكان من عهدها الى العصر الحديث في حكم العدم اذا قيس بآداب الأمم الرفيعة .

ولا ريب أن الأدب العربي يكسب كثيراً — وقد كسب بالفعل كثيرا — بلقاحه بالأدب الغربي ، وهذا اللقاح يتأتى عن طرق ثلاثة : الأول اطلاع أدباء العربية على الأدب الغربي . فان لذلك أكبر الاثر في نفوسهم وفي كتاباتهم وإن لم يشعروا ولم يتعمدوا إدخال ما قرأوا فيما يكتبون . والثاني ترجمة الآثار الغربية المشهورة من نثر وشعر الى لغة الضاد . فان ذلك يؤثر في أبناء العربية الذين لم يطلعوا على آداب غيرها تأثيراً يكاد يدنيهم ممن اطلعوا عليها . والثالث إدخال الاشكال والمواضيع الشعرية الغربية في الادب العربي اذا كانت غير موجودة فيه . فان ذلك يزيد اللغة ثروة وقوة ، ويقدر الادب العربي على مجاراة آداب الغرب

والشعر العربي خاصة خلو من كثير من الاشكال والمواضيع التي يتناولها الشعر الغربي كالدرامة والملحمة والشعر المرسل والقافية المنوعة والاوزان المتداخلة في القصيدة الواحدة . فالشعر العربي فضلا عن كون مواضيعه محدودة قوامه الوحدة في الوزن والقافية ، والاحكام في القواعد ، والصنعة والرصانة في الأسلوب ، وعلى المعنى أن يخضع لكل هذا فلا يخرج الا مصقولا في قالبه . بينما الشعر الغربي أكثر مرونة وأقل قواعد وأسهل في يد الناظم وأقدر على التحول والتنوع وزنا وقافية اتباعا لمعاني القصيدة المتتابعة ، ومن ثم استطاع الشاعر الغربي أن يودع شعره من دقيق المعاني وعميق الأفكار وخاصها وجزئيها مايشق على الشاعر العربي الذي لاطاقة له بغير ذكر العام والكلي ، فكلما جاد الشعر العربي راع اسلوبه وأحكمت ديباجته وراقت موسيقاه ، وكلما جاد الشعر الأوربي دقت معانيه ولطفت اخيلته وتجسم وصفه وتصويره وعبر عن الخوالج النفسية البعيدة الغور . وبالجملة كانت نتيجة الوحدة في العروض والقافية في الشعر العربي أن كان شعر أسلوب ، ونتيجة التنوع والمرونة في عروض الشعر الغربي وقافيته أن كان شعر معنى

واذا كان شعراء العربية الأقدمون قد قنعوا بذلك الضرب المقيد الموحد من الشعر وأدوا به معانيهم وأغراضهم العامة ، فلن يقنع به عصرنا ، هذا اذا كنا نريد للشعر العربي مجاراة الشعر الأوربي ، ونريد أن يؤدي من لطيف الأوصاف للمشاهد الطبيعية والحالات النفسية مايؤديه ذلك الشعر ، ولا بد لنا — كما اقتبسنا من الغرب القصة القصيرة والطويلة والرواية التمثيلية والمقالة في عالم النثر — أن نقتبس في عالم الشعر الأوضاع والأشكال التي توسع أفق شعرنا العربي وتزيده قوة وخصبا

والواقع ان القافية الموحدة التي تنتظم القصيدة من أولها الى آخرها غير معروفة في الشعر الغربي ، وقد قال ملتون في مقدمته لملحمته المشهورة « الفردوس المفقود » إنه عول على نظمها شعرا مرسلا وعلى نبذ القافية نبذا تاما لأنها أثر من آثار الهمجية ، وكثيرا

وقد رنقت شمس الاصيل ونفضت
على الافق الغربي ورسا مزعزعا
ولاحظت النوار وهي مريضة
وقد وضعت خداً على الارض أضرعا
وقد ضربت في خضرة الروض صفرة
من الشمس فاخضر اخضراراً مشعشعا
وأذكى نسيم الروض ريعان ظله
وغنى مغني الطير فيه فسجعا
وغرد ربعي الذباب خلاله
كما حثحث النشوان صنجا مشرعا

لئن حفل شعر أبي تمام والبحتري بالكنايات الظريفة والاستعارات الطريفة ، فابن الرومي في الشعر التصويري الملون نسيج وحده

حلب — كمال حريري

ماعاقت الشعراء عن تسجيل سامي المعاني ، وبرغم مغالاة ملتون في قوله هذا — إذ للقافية روعتها ولزومها في كثير من ضروب الشعر — فلا شك في أن القافية كثيرا ما تقف عقبة في سبيل نظم دقيق المعاني وجليلها

لابد من رياضة الوزن العربي والقافية العربية على المرونة والسهولة والتنوع في القصيدة الواحدة تبعا للمعاني ، كي يساعدا الناظم البارع على بيان اغراضه ، فلا يعتمد الاعتماد كله على المعاني والتشبيهات ونحوها ، بل يعتمد أيضا على جرس الالفاظ وموسيقى الوزن ووقع القوافي وتجاوبها واختلافها لإبراز أوصافه وإحياء صورته التي يريد في خلد القارىء ، فقد برع الشعر الغربي في هذا الضرب من الملاءمة بين المعنى واللفظ والوزن ولاسيما في اشعار الوصف فبذ بتصويره ريشات المصورين في كثير من الأحيان

لا بد من التخلي عن بعض القيود والقواعد وإدخال بعض السهولة والحرية واقتباس ما يمكن اقتباسه من الأوضاع والأشكال الشعرية الغربية ، على اننا يجب ان نذكر أولا أن ماسنقتبسه لن يلغي القافية الموحدة والوزن الموحد من العربية إلغاء ، بل تظل هذه الطريقة العربية الخالصة قائمة ، لها ميزاتها من الرصانة والفخامة ، ولها مناسباتها التي تستعمل فيها فتؤدي غرضها أحسن الأداء ، لن نهجر طريقتنا الى طريقة غيرنا بل نأخذ مما عند غيرنا ما يزيد لغتنا وشعرنا سعة وثروة ، ويجب أن نذكر ثانيا ان الناظم الغربي انما يستخدم تلك الحرية والمرونة في شعره ليؤدي بها اغراضا خاصة : تجسيم وصف ، أو تمثيل حركة ، أو تقليد صوت ، أو إسلاس قصص ، فيجب ألا نهجر القافية والوزن الموحدين إلا أن يؤدي تنويع الوزن والقافية مثل تلك الأغراض ، وإلا كان الأمر مجرد تسهيل للنظم يغض من قيمة الشعر الفنية ويورث الناظم الكسل وقلة التعب في معالجة القصيد

واكبر اعتراض يقام امام ادخال هذه الاساليب الشعرية الغربية نبوها على السمع الذي اعتاد الوحدة في الوزن والقافية العربيين . وهو اعتراض وجيه غاية الوجاهة : فان اقتباس تلك الاساليب إن أدى الى فساد موسيقى الشعر العربي التي هي قوامه كان وبالا وكان علينا ان نقلع عنه مهما كان له من فوائد ، ولكن هذه العقبة يمكن تذليلها بوسيلتين :

الأولى التدرج في التحرر من قيود الوزن والقافية تحررا يسير بطيئا مع الزمن ولا يفاجىء الآذان كبير مفاجأة ، فان التطور دون الطفرة جدير بتعويد الأذن على اختلافات العروض والقوافي في القصيدة الواحدة ، حتى تستطيب تلك الاختلافات وتلتذها وتصير لها فيها متعة كالمتعة التي تجدها في النظم الموحد ، وقدما اخترعت الموشحات والابيات المختلف شطراها طولا فكانت خرقا في الطريقة السائدة وكانت بلاريب نابية على الاسماع في اول الأمر ، ولكنها بمرور الزمن صارت مألوفة ولم يعد أحد من كبار الشعراء يتحرج من اللجوء إليها في بعض اغراضه .

والوسيلة الثانية هي ان يتصدى لادخال هذه الاساليب في شعرنا العربي كبار الشعراء الذين عالجوا القريض سنين طوالا ، ومارسوا اللغة واستوعبوا ثروتها واستبطنوا اسرارها وحذقوا عروضها ، فهم وحدهم بخبرتهم ودربتهم وتمكنهم قادرون على أن يدخلوا في اللغة ما يلائمها وينبذوا ماعداه ، ويصقلوا مايدخلون بصقا لها حتى يصير جزءا منها ويثبت فيها وينمو ويثمر ، أما أن يتصدى لذلك الناشئون المتحمسون للتجديد على غير بصيرة فلن يأتوا إلا بكل غث لايؤدي اغراض الشعر الغربي ولا يبقي على جمال الشعر العربي ولا يكتب له بقاء .

والقافية أشد من الوزن قبولا للتلقيح بالاساليب الغربية ، والشعر المرسل خاصة يكون ذا مستقبل باهر في العربية اذا عالجته الايدي القديرة ، وقد مارسه الاستاذ فريد أبو حديد غير مرة ونجح فيه نجاحا غير قليل ، ونشر في الرسالة ترجمة لفقرات من «عطيل» امتازت بالسلاسة ولم ينقص من قدرها في نظري سوى أن الأستاذ اختار لها بحر الرمل ، وليس هذا ولا الخفيف المنظومة فيه رواية خسرو وشيرين بأليق البحور لبدء معالجة الشعر المرسل . بل اكثر البحور العربية استعدادا لذلك البحر الطويل الذي هو بطوله وفخامة موسيقاه واتئادها أقدر على الاستغناء عن القافية وأحق بأن يترجم إليه الشعر المرسل الغربي المعروف «بالبلانك فيرس» وأن يحل عندنا محل ذلك الضرب الذي يختص عند الغربيين بشعر الدرامات والملاحم ، ولا ريب أن ترجمة روايات شكسبير وأمثالها اليه أولى من ترجمتها نثرا .

ولقد كان شوقي في أواخر أيامه أقدر الناس على ولوج هذه الأبواب لو أراد ، لولا شديد اعتداده بالوزن والقافية الموحدين ، فانه كان قد مارس قرض الشعر نحو نصف قرن حتى حذق

٣ - بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

رحيله عن نيسابور

فارق بديع الزمان نيسابور سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة . نعرف هذا من قوله وهو يمدح خلف بن احمد ان سنه خمس وعشرون سنة . وهو مولود سنة ثمان وخمسين . ثم هو يكتب من سرخس الى الشيخ ابى الطيب سهل بن محمد فيذكر ان الخوارزمى كتب الى الامير يسأله ألا يقبله فى حضرته ويذم الخوارزمى ويرد عليه دعواه الغلب فى مناظرته ، ويهدده بالعود الى مساجلته . والخوارزمى مات فى رمضان سنة ثلاث وثمانين

ويفهم من هذه الرسالة أنه ذهب الى مرو كذلك ، يقول عن الخوارزمى ، ان اللسان الذى أخرس لسانه ، والبنان الذى أنبس بيانه ، لم تكسبهما مرد مجادة ، ولا كستهما سرخس بلاده . وهما معى لم يفارقانى : (١)

(١) الرسائل ص ٨٩

ولم يسم الأمير الذى نزل بحضرته فى سرخس ، والظاهر أنه أحد أمراء السامانية . وقد أكرم الأمير مثواه كما قال فى آخر الرسالة نفسها عن الخوارزمى : « وأما مسالة الأمير ألا يخرطنى فى سلكه ولا يمكننى من بساط ملكه فقد شملتنى على رغمه أطراف النعم ، وبلتنى سحائب الهمم ، وللراغم التراب ، وللحاسد الحائط والباب »

وفى سنة ثلاث وثمانين مات الخوارزمى ! يقول الثعالبى « واجاب الخوارزمى داعى ربه فخلا الجو للهمذانى ، وتصرفت به أحوال جميلة ، وأسفار كثيرة »

وفى رسائل بديع الزمان رسالة كتبها الى من هنأه بمرض الخوارزمى يقول فيها : (فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها فى نفسه ، ولا يعدمها فى جنسه ، والشامت إن أفلت ، فليس يفوت (ص ٨٢ الى آخر الرسالة)

وفى ديوانه قصيدة يرثى بها الخوارزمى ويرد على من قال : « قد خلا الجو للهمذانى » يقول فيها :

حنانيك من نفس خافت   وليك من كمد ثابت
أبا بكر اسمع . وقل كيف ذا   ولست بسمعة الصائت ؟
تحملت فيك من الحزن ما   تحمله ابنك من صامت
حلفت لقدمت عن معشر   غبيين عن خطر المائت
يقولون أنت به شامت   فقلت الثرى بفم الشامت
وعزت على معاداته   ولا متدارك للفائت
وقال الأنام خلا الجو لى   لعمرى ولكن على عانت
أبيض ولكن الى عاقر   وأصفر لكن على ساكت

أكثر البديع أسفاره بعد مفارقة نيسابور . يقول الثعالبى :

« ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة الا دخلها وجنى وجبى ثمرتها ، واستفاد خيرها وميرها ، ولا ملك ولا أمير ولا وزير ولا رئيس الا استمطر منه بنوء ، وسرى معه فى ضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على غرائب القسم » ويقول الهمذانى فى رسالته الى القاسم الكرجى : « فانى وان كنت فى مقتبل السن والعمر ، قد حلبت شطرى الدهر ، وركبت ظهرى البر والبحر ، ولقيت وفدى الخير والشر ، وصافحت يدى النفع والضر »

وفى رسالة أخرى : « وانى أيد الله القاضى ، على قرب العهد بالمهد قطعت عرض الارض وعاشرت أجناس الناس . » (١) وليس يمكن بما عندنا من الرسائل غير المرتبة ان نتتبع أسفاره فى خراسان

(١) الرسائل ص ٤٨ ، ٦٣أ

صناعته ، وكانت له موهبة فى الأسلوب عالية ، فبلغ فى النهاية غاية الجزالة والسلاسة ، وكان له من الوقت متسع للتجريب والمحاولة ، ولو عمل على إخصاب اللغة بيده هذه الأساليب الغربية فيها لخدمها خدمة أجل كثيراً من خدمته إياها بمعالجة النظم التمثيلى فى أخريات أيامه ، ورواياته التمثيلية ذاتها شاهدة بذلك : فان ميزتها الكبرى والوحيدة براعة الديباجة ، أما اذا قيست بمقياس التأليف التمثيلى وقوبلت بالمؤلفات الغربية التى كان يقلدها ويترسمها فلن تكون شيئاً مذكورا

على أنه اذا كانت العربية قد فقدت شوقياً وحافظاً اللذين عالجاها حقبة وتمكنا منها ، فما يزال لها من كبار الشعراء المجربين من هم قادرون على توسيع أفقها ومضاعفة ثروتها بطرق هذا الباب من الاقتباس والابتكار ، فلعلهم يتقدمون ، ولعل مجهودات الأستاذ فريد أبى حديد تكون الخطوة الأولى فى هذا السبيل .

فخرى ابو السعود

وسجستان وغزنة ، ولكنا نعرف أنه فارق خراسان لما وقع بها من الحروب ، والظاهر أنها الحروب التي وقعت في أواخر الدولة السامانية، ونعرف ان الاتراك قطعوا الطريق عليه وهو ميمم سجستان كما قطع الأعراب طريقه وهو قاصد نيسابور من جرجان : « ولما وقع بخراسان ماوقع من حرب ، وجرى ماجرى من خطب ، واضطربت الأمور ، واختلفت السيوف ، والتقت الجموع وظفر من ظفر ، وخسر من خسر ، كتبني الله في الاعلين مقاما ، ثم الهمني من الامتداد عن تلك البلاد ، والاقلاع عن تلك البقاع . واعترضتنا في الطريق الأتراك . وأحسن الله الدفاع عن خير الأعلاق وهو الراس ، بما دون الأعراض وهو اللباس . فلم نجزع لمرض الحال مع سلامة النفوس ، ولم نحزن لذهاب المال مع بقاء الرؤوس . وسرنا حتى وردنا عرصة العدل ، وساحة الفضل ، ومربع الحمد ، ومشرع المجد ، ومطلع الجود ، ومنزع الأصل ، ومشعر الدين ، ومفرع الشكر ، ومصرع الفقر ، حضرة الملك العادل أبي أحمد خلف بن أحمد الخ ، (١) هذا هو الذى مدحه فى ست من مقاماته ، وبعض رسائله مدحا لم يبذل لغيره مثله ، ولكن بديع الزمان لم يعفه من العتب الموجع حين آنس منه الاغضاء عنه .

ثم ذهب الهمذانى الى غزنة حاضرة الدولة الغزنوية ومدح السلطان محموداً بأبيات . ولا نجد فى رسائله تفصيل مقامه فى غزنة ولقائه السلطان . ولكنا نجد له رسائل كثيرة الى الفضل بن أحمد الاسفرائينى وزير السلطان يذكر بعض خطوب هذه الدولة ، ويهنىء ببعض فتوحها . والأبيات التى مدح بها السلطان مثبتة فى الديوان ، وفى اليتيمة وأولها :

تعالى الله ما شاء وزاد الله إيمانى
أأفريدون فى التاج (م) أم الاسكندر الثانى ؟
أم الرجعة قد عادت الينا بسليمان
أظلت شمس محمود على أنجم سامان

فى هراة

ثم سار الى هراة ليرحل عنها كما رحل عن غيرها ، ولكن كتبت له الاقامة بها حتى الممات . يقول فى رسالته الى الشيخ أبى نصر انه سار من سجستان الى بوشنج ، وأنه لما سكنت الحرب وانفتحت السبل استأذن الأمير فى المسير الى هراة . ويقول فى رسالة أخرى « وياسبحان الله ماعلمت ان هراة تنسينى صرصر والصرات ، حتى انستنى دجلة والفرات ، على ظهر الغيب نظر الريب . فكيف بنا اذا دخلناها وحللناها فسقاها الله من بلد ، وأهلها من عدد . »(١) وذلك أن بعض الهرويين أرسل اليه مرحبا قبل دخوله المدينة ، ويظهر من رسائله أنه لم يغتبط بالاقامة فى هراة أول عهده بها ، ولا أزمع المقام فيها ، يقول فى رسالته الى الشيخ ابى النصر : « كتابى أطال الله بقاء الشيخ ، والماء اذا طال مكثه ، أظهر خبثه ، واذا سكن متنه، تحرك نتنه .

كذلك الضيف يسمج لقاؤه ، اذا طال ثواؤه ، ويثقل ظله ، اذا انتهى محله . قد حلبت أشطر خمسة أشهر بهراة ولم تكن دار مثلى لولا مقامه . » (٢) ونجده : « فى رسالة أخرى يشكو حيفا أصابه فى هراة .

« والله ، أطال الله بقاء الشيخ الرئيس ، ماسكنت هراة اضطرارا ، ولا فارقت غيرها فرارا . وانما اخترتها قطنا ودارا ، واخترته سكنا وجارا ، لتكون أرفق لى من سواها ، ولأزداد به عزا وجاها . فان كان قد ثقل مقامى ، فالدنيا أمامى ، وان كان قد طال ثوائى ، فالانصراف ورائى . لست والله ذباب الخوان ولا وتد الهوان . والشام لى شام ، مادام يكرمنى هشام . وهراة لى دار ، ماعرف لى فيها مقدار ، وقرى الضيف غير السوط والسيف الخ ، فهذا يدل على أنه غير مطمئن الى هراة وان اختارها سكنا . ونجده فى الديوان يقول من قصيدة مدح بها ابن عدنان رئيس هراة .

قد طال مكثى فى هراة فهل لكم فى ان أوليكم قفا الاعراض
ولو انى ماء الحياة لمانى وراده وتنكبوا أحواضى
أحسنتم باللكرام ضيافتى عند الورود فأحسنوا إنهاضى

ولكن بديع الزمان ، على هذا ألقى عصا التسيار فى هراة واتخذها موطنا وأمضى بها بقية عمره . فما الذى بدل رأيه وحبب اليه المدينة؟ يقول الثعالبى : « ومازال يرتاد للوصلة بيتا يجمع الأصل والفضل ، والطهارة والستر القديم والحديث حتى وفق التوفيق كله وخار الله له فى مصاهرة أبى على الحسين بن محمد الخشنامى . وهو الفاضل الكريم الأصيل الذى لايزاد اختبارا الا زيد اختيارا . فانتظمت أحوال أبى الفضل بصهره ، وتعرفت القرة فى عينه ، والقوة

(١) الرسائل : ط ـ بيروت ص ٤٣٢

(١) ص ١٤٩

(٢) ص ١١٠

فى ظهره . واقتنى بمعونته ومشورته ضياعا فاخرة ، وعاش عيشة راضية . » (١)

وفى رسائل الهمذانى تصديق خبر الثعالبى ، فهو يقول فى إحدى رسائله من هراة « والله لولا يد تحت الحجر ، وكبد تحت الخنجر ، وطفلة كفرخ يومين ، قد حببت الى العيش ، وسلبت عن رأسى الطيش ، لشمخت بأنفى عن هذا المقام (ص١٦٢) وهو يتكلم فى رسائل هراة عن الزرع والأكرة والخراج وديونه على الناس والسفاتج « والشأن أن أعيش عيش الجعل ، بين السرقين والعمل ، وانا على ذلك محسود . . . أرأيت رجلا يندم أن ولده آدم ، أو يألم أن يسعه العالم ، يحسد فى قرية يشتريها ، (٢) وفى رسالة الى بعض وزراء السلطان محمود : « ومما أبث الشيخ الجليل ، ان مبلغ خراجى بهراة ألفان . وعلى المخف من الجريان ثلاثة مدورة ، بيض مقشرة ، وعلى المثقل تسعة وعشرة . ووددت لو أمكن التبلغ بأقل من هذا فأفعل ولكن افواها فاغرة ، وأضراسا طاحنة ، وعيالا وأذيالا ، الله وكيلهم وأنا ربهم وأكيلهم . وإن أمكن تحويل هذا المقدار من الخراج ببوشنج لتتوفر حقوق بيت المال ، وأصان عن مجازفات العمال ، وتبعات الحال ، فتلك غاية الآمال ، (٣) وفى رسالة الى والده : « وقد رسمت لموصل كتابى هذا أن ينقده مائة دينار بشرط ان يخرج ، وان يرتب له عمارة شتوية تسعه والشيخ الفاضل العم ، فليتفضلا وليقوما ويرحلا ، ويستصحب الأخ أبا سعيد ، وليأتنى بأهله أجمعين فما يعجبنى لقاء ليس له بقاء ، ولا وصل بعده فراق ، فان لم يمكن استصحاب القوم فلا يتأخر بنفسه ، فسيرد على خمسمائة نير وألف أكار ، وأحوال منتظمة ، وأسباب مستقيمة » .

ومن أجل هذه الثروة قصده الناس واستماحوه . وفى رسائله واحدة كتبها الى مستميح عاوده مرارا : « عافاك الله : مثل الانسان فى الاحسان مثل الاشجار فى الاثمار . سبيل من أتى بالحسنة أن يرفه الى السنة . وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدى ، وهما فؤادى ويدى . أما الفؤاد فيعلق بالوفود ، وأما اليد فتولع بالجود . ولكن هذا الخلق النفيس ، لا يساعده الكيس ، الخ ، (ص١٩٧)

وفاة بديع الزمان

كان الهمذانى يتعجل العمر ويستكثر السنين فهو يتكلم عن الشيب فى مدحه خلف بن احمد وهو فى سن الخامسة والعشرين ، ويرحب بالشيب ويفضله على الشباب وهو فى سن الثلاثين : « فجزى الله الشيبة خيرا ، انها لأناة ، ولا رد الشبيبة أنها لهناة ، وبئس الداء الصبا ، وليس دواؤه الا انقضاؤه ، وبئس المثل النار والعار ، ونعم الرائضان الليل والنهار . وأظن الشباب والشيب لو مثلا لكان الأول كلبا عقوراً ، والآخر شيخا وقورا ، ولاشتعل الأول ناراً وانتشر الآخر نورا . والحمد لله الذى بيض القار وسماه الوقار . وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد . ان السعيد من شابت جملته ، والشقى من خضبت لحيته » (١) وفى رسالة أخرى : « وأسأل الله خاتمة خير وعاجل وفاة . ان بطن الارض أوسع من ظهرها وأرفق بأهلها . » (٢) فهذا ينم عن طبع مكتئب وصدر يضيق بالحياة وكأن وفاته فى سن الاربعين كان استجابة العمر لهذه السجايا .

فى رسائله رسالتان يذكر فيهما مرضه ، يقول فى احداهما : « وقد عملت فى أمر الدواء ما أشرحه له شفاها . وجملة الأمر أنى أؤمل النفع فى تناوله ، وحالى الآن صالحة » ويقول فى الأخرى : « ولكنى وقيذ أوجاع ، أنتقل من حمى الى صداع . وأخشى أن يأخذ منى لفح الهواء مأخذه ، فلذلك لا أبرز عن البيت ، وأنا فيه حى كميت . وعلى كل حال فاذا خفت وطأة الهواء ، وحان وقت المساء ، نعبت لعباتى الى حضرته ، متزودا من طلعته ان شاء الله تعالى » وما أدرى متى أصابه هذا المرض وهل كان مرضه الأخير أو غيره .

ويقول الثعالبى : « وحين بلغ أشده ، وأربى على الأربعين سنة ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . » ويقول جامع الرسائل فى عنوان رسالة « وله فى تهنئة فتح الجابية بباب بلخ . وهذا آخر كتاب أنشأه . ومات يوم الجمعة الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . » .

يتبع — عبد الوهاب عزام

(١) اليتيمة ج ٢ ص١٦٩ (٢) ص ١٦ ، ١٦٢
(٣) ص ١٣١

(١) ص ١٤٥ الرسائل
(٢) ص ١٤٦

تصويب

جاء فى مقال الاستاذ احمد أمين المنشور فى صفحة ٥٦٥ من العدد السابق قوله فى السطر الرابع عشر من العمود الثانى (نعم قد اجدت اللغة على الادب كثيرا) والصواب (أجدت اللذة) .

غلطـــة نحوية

للآنسة سهير القلماوى

لا تستغربوا هذا العنوان، وأستحلفكم ألا تستفهوه، فسترون بعد حين أن للغلطات النحوية شأنا وأى شأن . ستدركون عظمة الغلطة النحوية وخطورتها، ولن يكلفكم هذا الادراك ما كلفنى . ستقرأون المقال وستؤمنون بعده ان للغلطة النحوية الواحدة قدرا، وانه لقدر لو تعلمون عظيم

* * *

ما كادت تنتهى من محاضرتها حتى عدت الى أستاذها تستطلع رأيه، وتحاول ان تلمح فى تقاطيع وجهه قيمة جهدها الذى بذلته . لقد كانت تحسب حسابا كبيرا لنقده، وخاصة لابتسامته الساخرة التى يلاقى بها جهدا بذل فى غير موضعه، واستنتاجا سخيفا متكلفا بعيدا عن الصواب، وعن طبيعة الاشياء كما يقول . وما وصلت حتى بادرها بقوله . أهنئك، قالت أشكرك، قال أريد مقابلتك، قالت ومتى تشاء ؟ قال أأنت قادمة لعمل فى دار الكوكب غدا ؟ قالت لا . قال اذاً قابلينى بعد غد فسأكون هناك، قالت حسن، الى بعد غد .

وجلست تفكر بعدها ماذا يريد منها ياترى ؟ لم يدعها فى حياتها قط الا لعمل ذى شأن، او لمسألة ذات خطر . ثم هو يتعجل تلك المقابلة، ما سر هذه العجلة ؟ أكانت المحاضرة سخيفة الى هذا الحد ؟ ولم هناها اذاً ؟ ولم تره فى ظرف من ظروف حياته يقول غير ما يعنى، أكان هازئا ؟ ولكنها لم تلمح منه الا الجد ليلتها، ثم هى توقن انه لن يستهزىء بها مهما يكن، فى مكان وفى ظرف كهذين، وأخيرا هى تحس فى شىء من الاخلاص أن المحاضرة كلفتها جهداً، وانها وإن لم تكن خالية من المآخذ، الا أنها بكل تأكيد لا تستحق استهزاء علنيا ومقابلة مستعجلة . وأحس قلبها أن الأمر أهون مما تظن، ولكن متى خضع العقل للقلب ؟ لقد ظل العقل فى عمله يقدر ويحسب، يستبعد ويستقرب، يرجح وينفى، كل هذا وهو متعب مكدود، فأفسد عليها يوما كانت أعدته لراحته الكاملة .

ظلت يوما وبعض يوم تفكر، وتقلب الاحتمالات التى أمكن أن يخترعها عقلها فى مثل هذا الظرف، وبدأت تحس أن تفكيرها فى الموضوع أصبح آليا دائريا، يبدأ ليعيد، ثم يبدأ من جديد وهكذا، وانتهت أخيراً بابعاد كل احتمال أن تكون المقابلة خاصة بالمحاضرة، فلو كان ثمت متعجل فى شأنها لقاله لها يومها، والا لانتظر فرصة أخرى فهى لا تتغيب عنه كثيراً .

وما جاء صباح الأحـــد حتى استعدت للذهاب الى المقابلة، وما كادت تستعد حتى سألها والدها أن تصطحبه فى نزهة كان يسرها جدا أن تصطحبه فيها، ولكنها اعتذرت بضرورة ذهابها لمقابلة استاذها، وسألها هل ستبطئين عنده، فتكلفت شيئا من عدم الاكتراث تخــدع به نفسها، وقالت لا أدرى، لانى لا أعرف لمــاذا يريد مقابلتى . ولكن نفسها لم تنخدع بهذا المظهر المتكلف وبدأ عقلها سيرته الآلية من جديد، وسخطت على نفسها، ما الذى يثير حب استطلاعها الى هـــذا الحد ؟ وفى استهزاء مؤلم أكمل صوت فى قلبها و «خاصة اذا كان الامر اهون مما تتوهمين» فثار عقلها واسترد سيرته الآلية فى حمية جديدة .

وجاءتها ابنة خالتها تعرض عليها الذهاب الى أختها لترى هناك صديقة عزيزة عليها . وكانت تود رؤية هذه الصديقة فهى لم ترها من سنين، ولعلها لا تراها سنين أخرى، ولكنها اعتذرت ثانية، فسألتها ابنة خالتها : ولكن الا تعرفين لأى شىء يريدك ؟ وكأنها احست تطفلا فاكملت حتى تستطيعى أن تلحقى بى هناك اذا كان الامر لا يستغرق زمنا طويلا . قالت بعدم اكتراث، لست أدرى ماذا يريد، فلا استطيع أن اعدك باللحاق بك . وبدأ عقلها سيرته من جديد، وبدأت نفسها تضحك منها وتعيد « الامر اهون مما تتوهمين » .

وأخيرا وصلت دار «الكوكب» وصعدت الدرج فى اتزان عجيب تحاول أن تؤخر الميعاد ما استطاعت حتى لا يستشف استاذها عجلتها وحب استطلاعها . ودخلت حجرته فحيته وحياها، ثم جلست تنتظر . وتكلم فى مواضيع مختلفة، وهى تحاول فى جهد ان تتبع كلامه وان تخفى عجلتها واشتياقها لمعرفة ما جاءت من أجله وجاء ذكر المحاضرة فاثنى عليها، ثم قال : ولكنى اترك ما بها لغيرى من أساتذتك، لأن لى معك الآن امرا من اخطر الامور .

وخفق قلبها ولم تستطع حفظ مظهر الاتزان الذى تكلفته منذ الصباح، ودون أن تدرى قالت فى لهفة ظاهرة وماهو ! ؟ قال يافريد، آتنى بعدد الرسالة الماضى .

فارتفع الصوت الهازىء فى نفسها يضحك ويقول « الامر اهون

مما تتوهمين ، قال غلطة تكبرك بكثير ما قرأتها حتى كلمت الاستاذ الزيات بشأنها تلفونيا .

وارتفع صوت العقل وقال ، الم اقل لك ان الامر خطير ، ولكن العقل ما كاد يزهى حتى قال استاذها متابعا كلامه — غلطة نحوية كبيرة . اما أن تقلعى عنها ، واما ان تطلعى على الناس بمذهب جديد هو عدم التفريق فى الجمع السالم بين مذكر ومؤنث ، ومن يدرى فقد تجدين من يؤيدك ...... واستمر فى كلامه

«غلطة نحوية» كانت كلوح ثلج نزل على رأسها الملتهب يوما وبعض يوم . وكأنه لمح شيئا من غيظ تخفيه بسكوتها بعد أن لم تجد آمن منه ستارا . فقال : ألا تستحق هذه الغلطة انتقالك من العباسية الى عابدين ؟

وهمت أن تقول له إن هذا الانتقال أيسر ما كلفتها تلك الغلطة ، ولكنه استمر يحاول اغاظتها :

دونى فى مذكرتك أن أستاذك استدعاك من العباسية الى عابدين من أجل غلطة نحوية . وضحك فى سخرية مثيرة للغيظ ، فقالت محاولة اخفاء غيظها — سأدون !

* * *

أستاذى :— غلطة نحوية كلفتنى هذا . فليت شعرى ماذا سيكلفنى هذا المقال ؟ ولكنى أؤكد لك لا فى تملق كما تقتضيه حال الخائفة من عقابك ، وانما أؤكد فى صدق واخلاص أن لولا يقينى برحب صدرك ماخططت حرفا فى هذا المقال .

سهير القلماوى

تعـــتزل الحب !

للأديب حسين شوقى

الكونتس (س) سيدة فى العقد الخامس من عمرها ، أما جنسيتها فلا تهم كثيرا لانها غنية جداً ، والمال جواز سفر دولى تستقبل به بالترحاب فى كل مكان ، كما أن الكونتس (س) وهى سيدة صالونات — تلم إلماماً تاماً بجميع اللغات الحية كأنها سكرتيرة ممتازة بعصبة الأمم ..

توفى زوجها حديثا فحزنت عليه لأنه كان رجلا طيب القلب ، وديعا مطيعا لها مثل كلبها الصينى الصغير «بيبى» ، وكانت فضلا عن ذلك تتخذه حجابا لستر غزواتها الغرامية الكثيرة ، وكانت الكونتس نهمة فى الحب ، بل شيوعية ، لا تبالى ان قضت ليلتها مع أمير من الامراء أو مع سائق سيارتها ، وتمضى الكونتس (س) زمنا طويلا فى معاهد الجمال ، لتصلح أولا فأولا الآثار التى يحدثها الزمن فى وجهها ، ولكن هذه الآثار كانت تزداد يوما عن يوم حتى قلقت الكونتس على مصيرها ، لما ينتظرها وراء ذلك من شيخوخة محتمة .. لذلك فكرت فى اعتزال الحب ، كما فعلت المحظية المصرية الشهيرة تاييس التى روى قصتها الكاتب العظيم أناطول فرانس ، أجل ! ستفعل الكونتس ما فعلته تاييس قبلها ، وتقيم هى أيضا فى كوخ بصحراء مصر النائية .

وفى صباح يوم من الايام ، وبعد أن شاهدت الكونتس فى الليلة تمثيل تاييس بالاوبرا ، قالت لوصيفتها مارى :

مارى ، اننى صممت على اعتزال المجتمع . أعدى الأمتعة ، سوف نرحل الى مصر حيث نعيش فى الصحراء فى عبادة وتقشف مثل تاييس المحظية المصرية التى أعجب بتضحيتها كل الاعجاب .. !

فابتسمت الوصيفة ولم تجب ، لانها مقتنعة أن سيدتها غير جادة فى قولها ، وانها اذا ذهبت الى مصر فانما تذهب لتهرب من برد العواصم الاوروبية القارس . ثم عادت الكونتس فقالت :

حقاً ! انى سئمت المجتمع ومافيه من خدع وخيبة أمل ! ولاسيما بعد خيانة صديقى جان ، الراقص بفندق «بلاس» ، آه ! انى كنت أحبه حبا عميقا ، كما كنت مفتونة بشبابه الغض ، كيف استطاع أن

يكذب على وهو فى مثل هذه السن الصغيرة ؟

الوصيفة — ولم لا يكذب المرء وهو صغير فى السن ياسيدتى ؟ إنى كذبت فى طفولتى أضعاف أضعاف كذبى الآن ! كم سرقت الكرز من حديقة الجار ، فاذا سئلت عنه اتهمت الغربان !

الكونتس — هذا شىء آخر ، هذا كذب الطفولة البريئة ، اننى أقصد كذب الشباب ، ان الشباب يصعب عليه فى نظرى أن يكذب ، لأنه ليست بوجهه تجاعيد تستطيع ان تخفى الاكاذيب

الوصيفة — وكيف عرفت خيانة السيد جان ، ياسيدتى !

الكونتس — من عشيقته نفسها !

الوصيفة — عجباً ! ومافائدة عشيقته فى ان تفضح أمر صديقها ؟

الكونتس (مستضحكة) — لتنتقم يابنيتى ! إن الوغد كان يخونها مع عشيقة أخرى ثالثة !

ثم أعدت الوصيفة الأمتعة للسفر الى مصر كمشيئة الكونتس ، ولكن لشد ما كانت دهشتها حينما قالت لها سيدتها لدى عودتها الى المنزل ظهراً :

مارى ! اننا لا نسافر الى مصر ، انى أولم فى الاسبوع القادم وليمة عشاء تكريما للمثال العبقرى هنرى دى ... فابتسمت الوصيفة وقالت : وما سن هذا المثال العبقرى يا سيدتى ؟

الكونتس (فى إعجاب) — خمسة وعشرون ربيعا !

الوصيفة - اذن لابد أن يكون هذا المثال عبقريا يا سيدتى !

ثم ضحكتا ضحكا عاليا على هذه الملاحظة ، ولكن الوصيفة عادت فقالت فى حسرة : ياللأسف على رحلة مصرانا لن تتحقق ! وقد كانت شديدة النفع لما أشعر به من ألم فى المفاصل !

حسين شوقى

بعـــد النوى

أيها الراحل عن قلبي العميدْ ... سوف يشقى بالنوى حتى تعودْ
ويحَ للعشاق فى وادى الهوى ... من عذابٍ فادحِ العبء شديد

أين من عينيّ وجهٌ مشرق ... رائع الطلعة كالصبح الوليدْ
أين من أذنيّ صوت ساحرٌ ... كل صوت دونه عندى زهيد
وحديث للهوى مستعذب ... هو فى الاسماع قرآن مجيد
وغناءٌ كم هفتْ روحى له ... مثلما يهفـــو لغناه الطريد
يطفىء الوجد ويشفى مهجة ... من تباريح الجوى كادت تبيد

ياحبيبى لم تروّعك النوى ... مثلما روعت الصب الوديد
أنت فى الريف قرير ناعم ... رافل فى عيشك الحالى الرغيد
بين أهل جمعوا فيك المنى ... وبك ازدانَ لهم هذا الوجود
وتمنوا بَسْط أكبادهمو ... لك تمشى فوقها أين تريد
وشباب أنت فيهم كوكب ... ضوؤه ضاف على الدنيا مديد
كلما عـــدت ترامى جمعهم ... للورى حولك كالدر النضيدْ

تهبط الحقلَ فيغدو نبتُه ... لك مابين ركوع وسجود
ويهبُّ الطير من أوكاره ... حائما حولك فى كل صعيدْ
ويغنى أينما ســرتَ به ... كل لحن رائع الحسن فريد
ويفيق الدوح من غفوته ... بعد ما أيقظه رجع النشيد
فترى الأغصانَ فى نشوتها ... قد غدت شطرك تهفو وتميد

وأنا فى مصر نهبٌ للجوى ... سادر فى ظلمة الوجد شريد
واذا ماعاد بى الليـل الى ... مضجع عن أعين الناس بعيدْ
دفع الشوق بفكرى عنوة ... فى ظنون ماله عنه محيدْ
وظنون الحب اذ ماعصفت ... بفؤادى فهى شيطان مريد

أيها الغائبُ عن عينى وفى ... قلبيَ المضنى له عرشٌ وطيد
أدرك الغارق فى بحر النوى ... قبل ان يصرعه الموج العنيدْ

فريد عين شوكه

وقفة الوداع

للورد بيرون

ولما وقفنا للوداع ، نبكى واجمين ، وقد انسحق قلبانا ، من هول الفراق ، نال وجنتيك الشحوب والبرودة ، وكانت قبلتك مثلوجة ، حقا لقد تنبأت تلك الساعة بويل اليوم .

سقط ندى الصباح قارساً على جبينى ، فكان نذير ما أشعر به الآن ، لقد ضاعت كل عهودك ، وظهرت لى تضيتك ، كلما سمعتهم يلغطون باسمك ، أحسست بنصيبى من عاره .

يذكرون اسمك امامى ، فيقع على سمعى وقع جرس الموت ، وتعترينى هزة غريبة ، ويلى ! لم أحببتك كل هذا الحب ؟ انهم لايعلمون أننى عرفتك ، أنا الذى عرفتك جيداً ، سأتحسر عليك زمنا طويلا ، حسرة بعيدة القرار .

التقينا سراً ، فآلمنى ان قلبك استطاع أن ينسى غدر نفسك ، واذا قدر لى أن التقى بك ، بعد أعوام طوال ، كيف أحييك ؟ بالصمت والدموع !!

المطبعـــة

لروبرت . ه . ديفيز

أنا المطبعة ، أمى الأرض ، قلبى من فولاذ ، أطرافى من حديد ، واصابعى من نحاس ، أنشد أغانى العالم ، ألقى خطب التاريخ ، وأردد الحان الزمان ، أنا صوت اليوم ، ومتنبى الغد ، أقص حكايات السلم والحرب على السواء ، أحرك القلوب فى خفوقها وخفوتها . أوحى للعامل المضنى فى منتصف الليل ، أن يرفع رأسه محدقاً فى الفضاء البعيد غير خائف ليتلمس الأمل المواسى الخالد ، ملايين من البشر تصغى الى ، حينما أتكلم يفهمنى الجميع .

أملأ دماغ الغبى بأفكار تعليه ، أنا النور والمعرفة والقوة . أجمل انتصارات العقل على المادة ، فى الشروق وعند الظهيرة وفى الغسق ، تقصد اليك اولادى ، وأنت على نور الشمعة وبين اضواء الفقر الخافتة أو نعم الثراء .

أنا قهقهة العالم ودموعه ؛ وسوف لا أموت حتى يستحيل كل شىء ترابا . انا المطبعة .

دعاهما الصـــبى فلبياه

لروبيرت بيرنس

فى صباح يوم جميل من آذار ، وقد لونت الطبيعة كل شىء بلون بهيج ضاحك ، وعلت الاطيار الغنـــاء ، والخراف اللعب ، وكشفت عن فتنة الصبايا ونضارتهن ، استيقظ « جوان » الشاب مبكراً جداً ، وارتدى ثياب يوم الاحد مسرعا ، لان « جينى » الصبية الجميلة ، التى أحبها « جوان » وعبدها ، سترافقه الى رياض المدينة ، حيث يقضيان ساعة فى اللهو والرقص والغناء .

دق نقوس الكنيسة الخاشع ، فتلمس الشاب طريقه وسار بخطوات المشـــتاق الى منزل الحبيبة ، قرع النافذة « أسرعى يا عزيزتى » ، عندها صاحت « جينى » صيحة الجزوع الضجور « من هنا ؟ » أنا يا حبيبتى ، لا أحد سواى ، أقبلى على مهل ولا تخافى عيون الرقباء .

ان أبى وأمى غارقان فى رقادهما ، وأخى بعيد يرعى غنمه ، وأنت . ألا تزال أمينا على وعدك ، وهل تبرهن أبدا على وفائك !

بحق ما فى السماء من قوى ، سأكون أبدا المحب العابد ، ولن أضيع لحامتى عهدا ، ولن أخفر ذماما ، أبعدى عنك هذه الشكوك وأسرعى ياحبيبتى .

وسارا ملتصقين بين الورود والرياحين ، يضحكان ويعبثان حتى انتهيا الى غدير يترنم فى أسفل الوادى ، فجلسا على حافته يتشاكيان الجوى ، ثم استرخت الأكف للعناق ، وكانت ساعة حالمة تساقيا فيها كؤوس الحب مترعة صافية ، لقد دعاهما الصبى فلبياه . !

شرق الاردن ترجمة بشير الشريقى
المحامى

نجوى يتيم

ما لفؤادى ذابْ وما به وجدُ
وللدُّجى قد شاب ولم أنم بعدُ

ما للأسى قد فارْ فى كبدى الحرّى
وما لدمعى ثار من مقلتى ثرًّا
أمن بُكا الاطيار تستقبلُ الفجرا
أم لزمانٍ جارْ قد أَلِفَ الغدرا
أحنو إلى التذكار وليس من ذكرى!

خيالُ أمّى غاب وإلفىَ المهدُ
عدا مع الأحقابْ ولم يزل يَعْدُو

* * *

فتّشتُ فى فكرى عنكِ بخيبتُ
متُّ ولم أدرِ أنّىَ قد عشت
ماضٍ بالدهر لو لقّنى الموت
خلّفتِ فى الاسرِ قلبى ينفتْ
يندب فى السر حليفه الصمت

فى زمنٍ لعّاب من طبعه الحقدُ
يروح بالأوصابْ وبالجوى يغدو

* * *

تمضى بىَ الأفكار فى هدأة الأغلاس
تُسائلُ الاقدار وتنبش الأماس
علّ بها تذكار لساكن الارماس
والدهر للآثار مُخرِّبٌ دراس
منقلب غدّار قاس شديدُ الباس

دهرٌ حديدُ الناب ليس له عهد
مزمجر صخاب كأنه الرعد

* * *

اللهُ للايتام ماذا يلاقونا
من عَنَتِ الاعوام كم ذا يعانونا
غافون فى الاحلام بالدمع لاهونا
وهذه الايام لا تعرف اللينا
تسقيهم الآلام والذلَّ والهونا

وتُدهقُ الاكوابُ لهم وتشتدُّ
واليتم مثل الصاب ما مثله وِرْدُ

* * *

أى طرفىَ الذراف مالك لا تهدا
فالحُلُمُ الرّفاف أشرق وامتدا
والزمن المخلاف لا ينجز العهدا
من طبعه الاجحاف إن خُشى اشتدا
فى هزله مسراف لا يعرف الجدّا

دعنى من التسكاب فهمّىَ المجدُ
وخافقى وثاب قد شاقه الخلدُ

دمشق — أمجد الطرابلسي

في الأدب الفرنسي

زهرات من حديقة أبيقور

الحقيقة

هذه الحكمة اليونانية القائلة : « إعرف نفسك بنفسك » هى لعمرى طيش شديد وجهالة كبرى ! ! فلن نستطيع أبدا أن نعرف نفوسنا ولا نفوس غيرنا من البشر . وانه لينبغى التيقن من ذلك والايمان به ، فان خلق العالم أدنى صحة وأقل استحالة وأكثر امكانا من فهمه وعرفانه . لقدشك بها « هجل » بعض الشك ، ومن القريب المحتمل أن يخدمنا العقل فى يوم من الايام بابداع كون جديد ، فأما الكشف عن مفهوم هذا الكون وتبين كنهه فذلك ما لا سبيل اليه ، ولا قدرة لأحد عليه . والاولى بنا أن نسىء استعمال العقل ونمعن فى الجور وسوء التصرف به ، بدلا من أن نتخذه آلة لتحرى الصواب ومعرفة الحقيقة . وحتى استخدامه للحكم والقضاء كما يتطلب العدل ويرتضيه الناس فانه ضعيف ضئيل لا يجدى نفعا كبيرا ، وانما يصلح العقل للتسلى بتلك الملاهى ، وهى أكثر تعقيدا وغموضا من الشطرنج ، المسماة ميتافيزيك . . علم الاخلاق . . علم الجمال ، ولعله جدير بالرضى والاعجاب حين يقتطف من هنا وهنالك قليلا من النتوء أو بعضا من الوضوح فى الاشياء ، ثم يتمتع بألوانها وأصباغها من غير أن يفسد تلك اللذة البريئة الخالصة بالتفكير الكلى الشامل والاندفاع وراء الحكم والقضاء .

ادب الحياة

مادام معنى الجمال لايدرك مستقلا عن حدود الزمان والمكان فانى لا أشرع فى استساغة آثار الفكر والتلذذ بمنتوجات العقل الا حين أكشف عن وجه اتصالها بالحياة ولصوقها بها ، وهذه الصلة هى التى تجذبنى اليها وتأسرنى على قراءتها . فجرار هيازليك الضخمة حببت الى « الالياذة » كثيرا ، واذا كنت أتذوق « المهزلة الالهية » وأسيغ حلاوتها جيدا ، فلأنى أعرف حياة فلورنسا ، وأدرك الحال التى كانت عليها هذه المدينة فى القرن الثالث عشر . أنا لست أفتش فى الفنان الا عن صورة الانسان ! وما عسى أن تكون القصيدة الجميلة الرائعة غير البقية الباقية من جثمان الشاعر ؟ اليك هذا القول العميق يرسله جيته : « الآثار التى تخلد دون غيرها انما هى آثار الظروف والاحوال ، ولكن الآثار الفنية لا يمكن أن تكون الا آثار الظروف والاحوال ، لانها انما ترتبط جميعها بالمكان والزمان اللذين أبدعاها وكونا عناصرها . ولسنا نستطيع تفهمها ولا محبتها اذا كنا نجهل الزمن الذى أنشئت فيه والمكان والشروط الاجتماعية التى أحاطت تكوينها .

الحق أن البلاهة المتعاظمة الصلفة انما تبرز فى القول بالانتاج الفنى المستقل . فالثمن الذى يدفع غاليا للمؤلفات الرفيعة العالية انما هو ثمن العلاقات التى تربطها بالحياة . وانا كلما تبينت هذه العلاقات وكشفت عن قوتها اشتد هيامى بالاثر الفنى أستسيغه وأستمرئه

القمار

يلعب المقامرون كما يحب العشاق ويسكر الشراب مرغمين مجبرين . يلينون لقوة رائعة لا تقاوم ، ويستكينون للنوازع الجامحة العمياء ! وفى الناس من وقف نفسه على القمار ونذرها للعب ، على نحو من يقف نفسه على الهوى وينذرها للتصابى والغرام . ولست أدرى الذى ابتدع قصة ذينك الملاحين المقامرين تذيبهما نيران اللهو ؛ كاد الملاحان يغرقان ثم طوحا بجسميهما وسط المغامرات الخطيرة ، ولم ينجهم من الموت المحتوم غير الطفرة الى ظهر حوت ، فما لبثا ان انتزعا من الجيوب الزهر والفنجان ، ثم راحا يلعبان !

هذه القصة أصح من الحقيقة وأشد منها ثبوتاً ، وكل مقامر مدنف انما هو ملاح على طراز من ذكرنا . والواقع ان فى القمار معنى من معانى الرهبة ، يهز أعصاب الشجاع ، ويثير فى نفسه ألوان الاضطراب والقلق . فليس اختبار الحظ غبطة يسيرة معتدلة ، وليس ارتشاف حياة طويلة عريضة ذات أشهر وسنين مليئة بالخوف والرجاء ، بالألم والأمل — ليس ارتشافها فى هنيهة من الزمن لذة ضعيفة هامدة لاتثمل ؛ أذكر انى كنت دون العاشرة من عمرى حين قرأ علينا المسيو غريبينى ، استاذ الصف التاسع ، حديث الانسان والجنية . وبالرغم من طول البعاد وتقادم العهد ، فانى ما أزال أعيه وأتمثله كأنما هو حديث الأمس القريب : إن جنية ما كرة

دفعت الى طفل صغير خيطاً طويلا قدلف فى انتظام حول نفسه ثم قالت له ، هذا خيط عمرك فالمسه ، وحين تريد ان يمضى الزمن لتستشرف له وتحيا فيه ، فاشدد الخيط فان الأيام والليالى سوف تمر أمام ناظريك وتكر متتابعة فى إسراع او بطء حسبما تشد الخيط فى قوة أو فتور . ومادمت لاتجذب هذا الخيط فانك تبقى من الوجود فى الساعة التى أنت فيها ، فأخذ الطفل الخيط الملفوف فجره قبل كل شىء ليفلت من طور الطفولة ويغدو رجلا رشيداً ، ثم جره ليتزوج ممن أحب ، ومازال يجره حتى رأى أولاده تنمو ، ونفسه تبلغ أسنى المراتب ، وتنال المال الوفير والمجد الرفيع ؛ ثم جره ليجتاز آلام الشيخوخة ويجتنب ثقل وطأتها وامراضها . . وا أسفاه على هذا العود الأملد النضير ! لقد عاش الطفل أربعة أشهر من بعدها ستة أيام على زيارة الجنية له :

لعمرك قل لى ماحد القمار اذا لم يكن الفن الذى يستبق أحداث الطبيعة العاقلة ، ويشد تقلبات الأقدار المتئدة التى لاتبرز الا فى سنين وسنين ! أليس القمار هذا الفن العجيب الذى يجمع فى لحة من الزمن مختلف الاهواء والميول المنتشرة بين حياة الناس البطيئة الراكدة ؟ بلى ! إنه سر الوجود ومعنى الحياة تتذوقها فى مدى ضئيل من الثوانى القصار ، فهو يطاول القدر ويسايره جنباً لجنب ، ولعله يشبه صراع يعقوب مع الملك ، اوميثاق الدكتور « فوست » مع الشيطان .

المال مادة القمار ؛ ونقصد انه العلة الضرورية المباشرة ، ومن يدرى ! لعل الورقة التى تستبطن ، او الكرة التى تتدحرج ، تنفح المقامر اللاعب بالحدائق الجميلة ، والحقول المزروعة ، والاحراج الفخمة ، والقصور المشيدة تشق السماء ابراجها الدقيقة . هذه الكرة المتدحرجة انما تضم فى اطوائها الاراضى الخصبة الواسعة ، والدور العامرة تلمع مداخنها المنحوتة فى مياه اللوار ، إنما تضم كنوز الفن وعجائب الذوق ، وجواهر غالية طريفة ، ونفوسا كان يظن ان ليس الى بيعها من سبيل . وعلى الجملة تضم مطارف الزينة والمجد ، وشديد القوى ونافذ الأسلحة ، ماذا أقول ؟ انها تضم شيئاً اثمن من هذا كله بكثير : تضم الامانى والأحلام ، أفتريد بعد هذا الا يلعب المقامرون والا يلهو الهازلون .. ؟؟ ولو أن القمار لايبعث غير الآمال الكبار ولا يبدى الابسمة عينيه الخضراوين ، لكان الميل اليه خفيفا نحيلا ، ولكنما اظافره مصنوعة من ماس ، يروع ، ويخلع البؤس ان شاء ، والحياء حين يريد .. ومن هنا كان القمار إلها تقدم له فروض الطاعة ومراسيم العبادة :

يكمن الخطر فى الأهواء الملحة العنيفة ، أرأيت غبطة شديدة ليس يصحبها خمار أو يعقبها دوار . وانما تسكر اللذة قد خالطها الفزع ، وهل يخيف شىء فى الوجود أكثر مما يخيف القمار ؟ اذا أعطى أدهش ، واذا أخذ فتش . منطقه يباين منطقنا ، فهو اصم وأبكم وأعمى ؛ قادر على كل شىء كالاله ، له عباده وقد يسوء الذين يحبونه لذاته لالثوابه ؛ وأكثر مايعبدونه حين ينزل بهم عذابا أليما . وقد يعريهم مما يلبسون ، فيعزون النقص اليهم دونه ، ثم يقولون (لقد اخطأت كثيراً فى لعبى)

وارحمتاه لهم ! يتهمون أنفسهم ثم لايكفرون .

حمص محمد روحى فيصل

العلوم

ماء جديد أيضا

للدكتور احمد زكى

ذكرت فى العدد الأسبق من الرسالة ماكان من أمر الماء الثقيل ، وقد سألنى سائلون الزيادة منذلك فهاهى :—

ان الماء الثقيل يختلف كل الاختلاف عن الماء العادى فى خواصه :

	الماء العادى	الماء الثقيل
درجة السيحان	صفر	+٣ر٨
درجة الغليان	١٠٠	١٠١ر٤٢
الوزن النوعى فى درجة ٢٥	١	١ر١٠٥٦
الدرجة التى عندها يبلغ أكثر كثافته	+٤	+١١ر٦

فمن أجل هذا ، ومن أجل أن الايدروجين فى الماء الاخف يختلف عنه فى الماء الأثقل اختلافا بينا ، اقترح الكيماويون الامريكان لهذا الايدروجين الأثقل اسما جديدا فأسموه ديوتيريوم Deuteriun ، واقترح له الاستاذ المعروف اللورد رذرفورد Rutherford. إسما غير هذا لاعتبارات كثيرة فأسماه دبلوجين diplogen ، وكلا الاسمين ثقيل على اللسان العربى . ولعل الثانى أخف وطأة من أخيه ، وقد اشتركا فى حرفهما الاول فصار رمز هذا العنصر الجديد هو حرف د D وبذلك يصبح الماء الثقيل أكسيد الدبلوجين

وقد قدّر الباحثون مقدار الدبلوجين فى الايدروجين العادى وقدّروا مقدار أكسيد الدبلوجين فى الماء العادى فاختلفوا اختلافا كبيرا ، وكان هذا الاختلاف لاسباب ، مثالها أنهم اعتمدوا فى أحد هذه التقديرات على طيف الايدروجين ، وكان أيدروجينا حضروه بطريقة التحليل الكهربائى للماء . فكان دبلوجينه لا شك قليل لان أكسيده أبطأ تحللا بالكهرباء من الماء . فخرج الحساب بنتائج واطئة المقدار . ومن هذه النتائج الواطئة النسبة ١ الى ٢٥٠٠٠ التى ذكرتها فى مقالى السابق

واتبع باحثان آخران طريقة أخرى يكفلان بها تحلل الماء كله تحللا كهربائيا كاملا ، ثم اختبروا طيف ايدروجينه الناتج ، فقدروا ان به من الدبلوجين جزءا فى كل ٥٠٠٠ جزء

وطبق الاستاذان لويس ومكدونالد طريقة البكنومتر pyknometer على الماءين ، العادى والنقى (هكذا أسمياهما) فخرجا على أن الماء العادى يحتوى جزءا فى كل ٦٥٠٠ جزء

واستخدم الاستاذ اللورد رذرفورد Rutherforp وأصحابه طريقة « القذائف » ، وفيها قذفوا عنصر الليثيوم Lithium بأيونات الدبلوجين وأيونات الايدروجين ؛ فوجدوا أن جسيمات « ألفا » الناتجة فى حالة الدبلوجين لها مدى أكبر ٥٠ فى المائة من مداها فى حالة الايدروجين . وهذه طريقة دقيقة يرجون بها أن يقدروا أكسيد الدبلوجين فى الامواه الاصطناعية والامواه الطبيعية المختلفة ، فماء العين لاشك سيختلف عن ماء النهر ، وهذا عن ماء البحر ، ومياه البحار الطلقة لاشك ستختلف فى ذلك عن مياه البحار الحبيسة . وقد وجدوا فعلا ان ماء البحر الميت يكثر مقدار أكسيد الدبلوجين الذى به ، وقد قدرت النتائج الاولى هذه الكثرة بالضعف . وهذا ما كان منتظرا لتبخر مائه تبخرا يزيد على غيره من البحار .

أما الخواص الكيميائية للدبلوجين ولأكسيده فالابحاث

التى أجريت عنها لا تزال قليلة . ولكنها فى مجموعها تشير الى قلة النشاط الكيميائى فى الدبلوجين وفى اكسيده . مثال ذلك انهم حللوا ماء مأخوذاً من المطر بامراره على الحديد المحمي فوجدوا أن الجزء الاول الناتج من الايدروجين يحتوى ١ : ٦٠٠٠ من الدبلوجين ، بينما الجزء الاخير يحتوى ١ : ٤٥٠٠ منه . ومثال ذلك انك اذا حللت ماء محمّضا بالخارصين فان المتبقى من هذا الماء تزيد نسبة اكسيد الدبلوجين فيه زيادة كبيرة .

إن علمنا بالدبلوجين ومركباته لا يزال قليلا ، ومناهج البحث فيه كثيرة ، والاحتمالات العلمية الذى سيتمخض عنها الغد لا شك جليلة . قال الاستاذ اللورد رذرفورد « لقد فتح هذا الكشف لنا باب كيمياء جديدة وبلجة جديدة »

احمد زكى

ماء جـــديد

حضرة الاستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء

تحية واحتراما وبعد ، فقد قرأنا فيما قرأناه من موضوعات شيقة آخر ما صدر من اعداد الرسالة فصلا قيما كتبه حضرة الدكتور احمد زكى فى باب العلوم بعنوان (ماء جديد) فهمنا منه ان البحث قد كشف اخيرا عن وزنين مختلفين لذرة الايدروجين كما كشف قبلا عن مثل ذلك فى الزئبق وغيره من العناصر ، وانه ظهر على اثر ذلك أن الماء العادى يشتمل على كم صغير جدا من ماء ثقيل شديد التركز مؤلف من ذرات الايدروجين الثقيلة وذرات الاوكسجين

وقد ذهب الدكتور الفاضل الى ان هذه الحقيقة الأخيرة قد أظهرت خللا فى الاسس المقررة لقياس الحرارة ووزن الاثقال

وذهب بعض القراء الى انه يؤخذ من مقال احمد أمين هذا ـ يريد احمد زكى ـ أن البحث الحديث قد أدى الى نتيجة جديدة هى أن الماء مؤلف من ذرات ايدروجين صغيرة وذرات ايدروجين كبيرة ، وانه لا صحة لما كان يقال من ان السنتيمتر المكعب من الماء يزن جراما

وعندى ان صاحب المقال لم يخطر بباله عند كتابته انه سيؤدى الى هذه النتائج الخطرة

فهو يقول ان الماء الثقيل يتجمد فى درجة ٤ تحت الصفر ، ويغلى على درجة ١٠١ ويعد هذا دليلا على فساد اسس علم الحرارة ، ثم يسأل باسلوب يلقى الريب فى ذهن القارىء عن الجرام وهل هو وزن السنتمتر المكعب من الماء الخفيف أو من الماء الثقيل ؟

والصحيح ان الحقائق التى كشفها البحث وأشار اليها الكاتب لاتمس مقاييس الحرارة والاوزان من قريب او بعيد . فالعبرة فيها كانت وستبقى بالماء النقى العادى المشتمل دائما على جزء من ٢٥ الف جزء من ماء ثقيل ، فهذا الماء العادى ، او ان شئت الطبيعى ، سيتجمد دائما فى درجة الصفر ويغلى على درجة المائة ويزن السنتمتر المكعب منه جراما لاغير فى درجة معينة من الحرارة

وما شأن الماء الخفيف وحده والماء الثقيل وحده بعد ذلك فى أمر الحرارة والثقل إلا نفس الشأن الذى لغيرهما من السوائل

فالماء النقى العادى سيظل كما هو اساس مقاييس الحرارة والأوزان .

واما ماذهب اليه بعض القراء من الخلط بين الاستاذ الكاتب وزميله الاستاذ احمد امين فرده فيما ارى الى تناول الكاتب موضوعاته العلمية باسلوب كاسلوب زميله الاديب الكبير . واغلب الظن ان النتيجة العجيبة التى طفر اليها هذا البعض من تكون الماء من ايدروجين صغير الذرات وايدروجين كبيرها تقع تبعتها على هذا الاسلوب الأدبى الممتع نفسه .....؟

الاسكندرية «م . ا .»

تعليـــق

أقرأنى صديقى الأستاذ الزيات اعتراض الكاتب الفاضل م . ا . وأرى أنه اذا كان حضرته يريد القول بان هذا الكشف الجديد لايؤثر فى وزن السنتيمتر من الماء مطلقا ، أو على حسب تعبيره « من قريب أو بعيد » ، فهو لاشك مخطىء ، لأن الأمواه تختلف نسبة الماء الثقيل فيها أعنى أكسيد الدبلوجين ، وإذن تختلف كثافاتها . ولو رجع الى مقالى الثانى المنشور بهذا العدد من الرسالة لوجد بعملية حسابية بسيطة أن هذا الاختلاف يتناول من كثافة الماء الرقم العشرى الخامس ، وأرجو أن يكون عالما بأن من الموازين الحساسة مايحس بزنة الرقم العشرى الثامن من الجرام ، ومن أجل هذا أمكن العلماء استخدام طريقة البكنومتر ، وهى تعتمد على التفريق بين الكثافات بالوزن ، فى تقدير ما بالأمواه من ماء ثقيل — وان كان الكاتب

القصص

الميتــة . . .

بقلم الكاتب القصصي « جي دي موباسان »

ترجمة الاستاذ خليل هنداوي

أحببتها حتى غلب عليّ فيها الذهول ، ولماذا أحببتها ؟ أغريب شاني إذا لم تر عيناي إلا كائناً واحداً ، ولم تحمل نفسي إلا فكرة واحدة ، ولم ينطو قلبي إلا على أمنية واحدة ، ولم يتسع فمي إلا لاسم واحد ؟ ذلك الاسم الذي يصعد من فمي تكرارا . ومن أعماق روحي مرارا ، كأنه ينبوع متفجر . أقوله وأعيد فيه القول ثانية وثالثة كأنه صلاة أذكرها وأرددها .

لن أقص عليكم ما غشيني في هذا الحب ، ومتى كان للحب حكايات متعددة ، وروايته في كل زمان ومكان واحدة . قد رأيتها وأحببتها ، وهذا كل ما في روايتي .

قضيت زمنا — ويا حبذا ذلك الزمن — يغمرني عطفها ، وتحوطني بذراعيها ، وتشبعني نظراتها ، ورداؤها وكلماتها . بل فنيت فيها حتى غلب علي الذهول فأصبحت لاأدرى : اذلك الليل او النهار يحيط بي ؟ وأنا في قيد الحياة أوفي سجل الاموات ؟ وهل انا على ارض غير الارض ؟

والآن ماتت ، فكيف سطا عليها الموت ؟ لاأدرى.. لاأعلم ، دخلت على أمسية ليلة من ليالي الشتاء مبللة الاثواب فنامت ، فتيقظت وهي ترسل السعال ملحة فلزمت سريرها مضطرة .

وبعد ذلك لاأعلم ..

الاطباء حشدناهم من كل صوب . فكانوا يقدمون ويكتبون ويذهبون . والعلاجات تنهال عليها وازاءها امرأة ترعاها . يدها حارة الملمس . وجبينها متوقد . ونظرتها ساطعة ، لكنها كئيبة . أكلمها فتخاطبني ، ولكن ماذا قلنا ؟ لاأعلم .. قد نسيت كل شيء .. كل شيء . انها قضت ولا أزال أذكر تنهدتها الخفيفة وأنتها الضعيفة . وقد صاح من حولها « آه » ففهمت ان الأمر انقضى .

لم أعد أعلم شيئاً . . .

لمحت كاهناً يخاطبني بهذه الكلمة : أمعشوقتك ؟ فخيل إلي انه ينال منها ، — وهو بعد موتها — يجب عليه الا يعرف شيئاً من هذا فنفيته من دارها وطلبت غيره ، فخف الى كاهن طيب السريرة . رقيق النفس ، حدثني عنها فغلب علي البكاء .

أمسيت لاأعرف شيئاً ، ولكنني أذكر الاكفان والناووس الذي ووريت فيه الى الابد .

نزلت في التراب ، وجاء معها بعض صواحبها ، واخيراً انطلقت وطفت في السبل شارداً ، وعدت ادراجي ، وفي الغد الباكر حملت نفسي على الرحيل

الفاضل يريد أن يقول إن هذا الاختلاف بسيط لا يؤثر في التجارب العلمية المعتادة فهو لاشك مصيب ، فان الموازين العادية بالمدارس تزن الى جزء من عشرة آلاف من الجرام ، أي تصل الى الرقم العشري الرابع فقط . وهذا هو عينه الذي قررته في مقالي الذي يعترض عليه . فقد قلت فيه « على أن هذه اختلالات لا توثر في حوائج العلم العادية »

ان الكاتب اذا كتب في الأدب قد يذهب به الخيال عن الدقة ، وقد يغتفر له ذلك ، أما اذا هو كتب في العلم وجب أن يكون أول ما يقصد اليه الدقة في التعبير ، ويزداد هذا الواجب وجوبا اذا هو حاول أن يتكلم عن العلم لغير علميين ، فاضطر الى استعارة شيء يسير من لغة الأدب ، وهذا ما نأخذ به دائما . ولكن على القراء كذلك واجب التدقيق عند القراءة . فصاحبنا الذي خلط بين احمد امين واحمد زكي كان من الطبيعي أن يخلط في فهم المقال . وحضرة الفاضل م . ا . نفسه لا شك قرأ المقال بسرعة ، فانه روى عني أن الماء الثقيل يتجمد في درجة أربعة تحت الصفر والذي كتبته ونشر في المقال كان « في نحو درجة أربعة » ، ومعناها بالطبع فوق الصفر لا تحته .

احمد زكي

***

وبالأمس دخلت باريس ...

ومذ وقع ناظرى على غرفتى ... غرفتنا وسريرنا ومتاعنا . وكل ما يخلفه الميت وراءه ، شعرت بأن أنفاسى تضيق ، وبأن كآبة تتمدد فى احناء نفسى فتزيد صدرى حرجا . وتبعثنى على القاء نفسى من النافذة ... لم أستطع البقاء طويلا فى هذه الغرفة التى تتراءى لى فيها محبوبتى ، فأسرعت عازما على الخروج ، فوقع ناظرى على تلك المرآة المصقولة التى كانت تقف إزاءها ناظرة الى وجهها وجسدها كل يوم ، تتقن زينتها تجاه هذه المرآة التى كان رسمها ينعكس فيها ، ولا يزال يتراءى على صفحتها . فأدركتنى رعشة عميقة ، وعينى خلال ذلك لاتبرح المرآة العميقة الفارغة التى احتوتها — قبل اليوم — فخيل الى أنى أحب هذه المرآة فلمستها فاذا هى باردة .. . ولكن الذكرى ، الذكرى !! المرآة الملتهبة المعذبة .

ألا إنهم سعداء ، من تشبه قلوبهم هذه المرآة ترتسم عليها الظلال ثم تمحى . وتنسى كل ما ارتسم عليها وانعكس فيها .

برحت مكانى وانا غير مختار . ولا أعلم أية وجهة اسلك !؟ فدخلت المقبرة فألفيت ضريحها المنفرد يشرف عليه صليب رخامى نقش تحته

« انها أحبت ، وكانت محبوبة ، ثم ماتت ... »

انها تحت هذا الضريح قدعبث فيها الفساد ! مكثت هنالك طويلا خاشع الرأس حتى واتى المساء ، ولكن خطرة غريبة صعدت من نفسى هى خطرة عاشق يائس تحدثنى وترغمنى على قضاء الليل بجانبها ذاكراً باكيا ، ولكن الناس سينظرون الى وسيطردوننى فما عسى أصنع ؟ نهضت وأبديت لمن يرانى اننى ضال بين القبور ، فسرت وأمعنت فى السير ، ولكن ما أضأل مدينة الموتى ازاء غيرها من مدن أهل الحياة ، والموتى ينيف عددهم على عدد الاحياء .

يتخذ القصور الشامخة والدور الباسقة والسبل الفسيحة أبناء النور ، وشاربو الينابيع ، وراشفو ابنة الاعناب ، وآكلو سنابل الحقول ، أما الموتى الذين تحدروا الى أعماق الثرى وما زالوا يتحدرون . أولئك لا ينالون شيئا ... رقعة من الثرى تضمهم والنسيان يطوى أسماءهم . ووداعا .

فى زاوية من زوايا المقبرة الآهلة بسكانها وقع ناظرى على المقبرة العتيقة التى اختلط رفات أصحابها بالتراب ، وأتى على صلبانهم الهلاك . وغدا سيدل الاحياء بالنازلين القدماء ، نازلين محدثين . كان يغشى تلك المقبرة ورود منتشرة ، وأوراق سوداء ، كأنها حديقة كئيبة شامخة تغذيها لحوم الموتى .

آويت الى جذع شجرة تواريت به عن الناس . ولبثت مرتقبا قابضا على الجذع كما يقبض الغريق على بقية من بقايا زورقه المحطم حتى مد الظلام رواقه ، فغادرت مكانى وطفقت أطوف متمهلا بين اللحود

ضللت كثيراً وأنا ألتمس قبرها . فكنت أسرى باسطا يدى . وفاتحا عينى ، وواثبا بين القبور على غير هدى ، فكم قبور لمحت ، وكم رسوم وقفت عليها كأعمى يود أن يهتدى الى سبيله . فلمست حجارة وصلبانا . وأكاليل ذوت أزاهيرها ، وأكاليل من زجاج . وتلوت اسماء كثيرة بيدى ولكننى لم أجدها .

لاقمر فى السماء يزيح هذه الظلمة الداجية . ! وياله من ليل ، بعث فى نفسى الهول . أغشى الطريق تغمر جانبيها القبور . القبور عن يمينى ، والقبور عن شمالى . والقبور امامى وورائى . أعيانى السير فاستويت على ضريح فسمعت خفقان قلبى وسمعت شيئا غير خفقانه .

ماذا أسمع ؟ أهذه وساوس تعيث فى رأسى ؟! وهذه اسماء تتصاعد من الارض الطافحة باشلاء بنى الانسان ؟

كم مضى على من الزمن وأنا لابث فى مكانى؟ لا أعلم : ولكن الخوف قابض على قلبى بكلتا يديه لا يبرحه . هممت باكيا أصيح ، وأوشكت أن أقضى نحبى .

فجأة شعرت بان لوح الضريح الذى تخذته مقعدا لى بدأ يتحرك كأن شيئا تحته يزيحه ، فنعدت عنه مذعوراً واذا باللوح يمشى ... وصاحبه ينتصب بهيكله العظمى . ازاح بظهره المقوس لوح الضريح فألقاه على الارض

فتلوت على اللوح برغم حلوكة الليل: (هاهنا يرقد (جاك أوليفيان) المتوفى فى الخمسين من عمره. كان باراً بأبويه ، وكان صالحا شريفا . ومات تحت كنف الله)

رأيت الميت يحدق فى هذه الكلمات ثم جاء بحجر مسنون يمحوها حتى لم يبق لها من اثر . ثم أخذ ينظر مكانها وتناول عظمة من عظامه وسطر عليها بأحرف بارزة (هاهنا يرقد جاك أوليفيان المتوفى فى الخمسين من عمره . قد عجل موت والديه لعقوقه ، وأضنى

امرأته . وعذب أولاده وخدع جيرانه وسرق ما استطاع ومات فقيراً) .

أتم الميت تسطيرها وظل يتأمل فيها ، وغادرت مكانى فاذا القبور جميعها متفتحة ، وسكانها جميعا بعثوا من مراقدهم ، ومحوا الصفات الكاذبة التى سطرها أهلوهم على لوحات قبورهم ، ونقشوا مكانها حقائقهم المجردة ، فوجدت أن جميع هؤلاء الآباء الصالحين والزوجات الأمينات ، والابناء الطاهرين ، والغوانى العفيفات ، وازهؤلاء التجار المستقيمين ، منهم العاق والبغيض ، واللئيم والمرائى ، والكاذب والحاسد والنمام ، ومنهم السارق والخادع ، والمرتكب كثيرا من الآثام . رأيتهم جميعا منكبين على منازلهم يسطرون حقيقة أنفسهم التى يجهلها أو يكاد يجهلها أبناء الحياة .

شعرت — اذ ذاك — بأن محبوبتى خطبها خطبهم ، فعجلت اليها نافضا عنى الخوف ، ومن حولى القبور المفتوحة . والجثث المنشورة والهياكل المنتصبة . عرفتها إذ لمحتها ، ولم أتوسم وجهها المنتصب عرقا . وعرفت القبر الذى كانت هذه الجملة مسطورة عليه (انها أحبت . وكانت محبوبة ثم ماتت) .

تلوت هذه الجملة الثانية (خرجت يوما لتخون حبيبها فأصابها برد أودى بحياتها)

*
* *

ويبدو لى انهم عثروا بى راقدا عند شروق الشمس على أحد القبور .

خليل هنداوى

الملاح التائه

ديوان الشاعر على محمود طه

يصدر

فى اول مايو

فى المزرعة

بقلم ايفان بونين

كان ذلك الوهج الوردى الفاتر المنبعث من الغروب الذاوى يغادر السماء متلكئا متباطئا . وتوارى الضوء شيئا فشيئا بين جحافل الظلام التى أخذت تخيم فوق مزارع الغلال الفسيحة المترامية . ثم أمعنت تلك الجحافل فى الزحف حثيثا على القرية .. بعد ان ارسلت بعض النوافذ الصغيرة فى جدر الاكواخ وميضا نحاسيا خالبا يستبى اللب . كان المساء هادئا ساكنا . قد حشدت قبل قليل قطعان الماشية فى حظائرها ، واحكمت دونها الرتج والاغلاق . وآب أهل القرية من عملهم المضنى فتناول كل عشاءه على الحصباء . قبالة أكواخهم ثم غرقوا فى صمت ساهم عميق . لاصوت لغناء . ولا صرخة لطفل

كل شىء كان يحلم حلمه المسائى . وكان الكابتن ايفانيش وقد جلس الى نافذته المفتوحة يحلم أيضا .

كانت «عزبته» فوق رابية آجام واطئة من الاقاقيا والليلاك تحتها انجم كثيفة ملتفة مشتبكة من القراص والحماض تنحدر الى أسفل فى اتجاه الوادى . ومن النوافذ تستطيع العين ان تقطع مسافات شاسعة فوق تلك الايك والاحراج البالغة مكانا قصيا .

كانت الحقول ساكتة صامتة تحت ذلك الغسق الشاحب ، قد انقطعت فيها الحركة . والهواء جافا دافئا عليلا . والنجوم فى السماء ترتجف باستحياء . وفى غموض مبهم كأنما تخفى فى باطنها اسرارا لا تدرك وأحاجى لا تحل .

ليس هناك تحت النافذة الا بضع جنادب دائبة فى صريرها المتشابه من غير كلل ولا ملل ، وهى فى مكامنها تحت عساليج القراص والا صيحات السمانى المتزنة الآتية من السهل النائى البعيد .

كان الكابتن ايفانيش وحده ، كدأبه دائما . لقد كتب له ان يعيش وحيدا يقاسى آلام الوحدة ما بقى حياً .

كان ابواه لا يملكان شيئا ، يعيشان فى بيت الامير (نوكايسكى) ماتا إبان طفولته ولما يبلغ من العمر سنة واحدة . قضى أيام طفولته وفتوته فى بيت عمة له مخبولة وفى مدرسة ابناء الجنود . كان فى شبابه ينظم الاغانى ناسجا فيها نسج ديلفك و كولتسوف . نظم فى قصائده

الغرامية الكثير عن (هى) المعهودة .

وما كانت (هى) المعهودة الا (آنا) ابنة موظف فى مكتب (تسجيل العقود) فى القرية ، لكنها ما كانت تحبه كما يحبها

كان أهل القرية يقولون عنه انه يشبه (السيد) ولكن ليس فيه شىء يسترعى النظر .

هو نحيف طويل بعض الشىء . قد صار يوما بتأثير الامير ملازما فى الجيش ثم ورث عن عمه نقوداً واستقال من وظيفته

أما (هى) فقد ذهبت يوما لتقيم فى بيت صديق لها وتزوجت وأقفل هو مكتبه على قصائده الغرامية حيث ظلت وستظل الى يوم موته .

انشأ يشتغل بالزراعة وحاول العمل فى مكتب الحكومة فى القرية ولكن لم يسعفه الجد

ومرت الأيام وانقضت الشهور وتعاقبت السنون ، وأصبح فلاحا حقيقيا : سترة طويلة تصل الى ركبتيه وشاربان طويلان أسودان ، على أنه ما كان يعلم أن وجهه المنضمر المغضن بعض الشىء وما كان يعلوه من امارات الحنو كان جميلا جذابا .

إنه اليوم حزين مكلوم . وجاءت اليه فى الصباح خادمه (اكرافية) التقية الورعة وذكرت له بين ماحدثته به (أتذكر السيدة « آنا » ياسيدى ؟

ــ فأجابها الكابتن إيفانيش . نعم

فقالت له ماتت ودفنت فى خلال أيام الصوم .

وبعد هذا لبث الكابتن إيفانيش طول يومه مرتسمة على شفتيه ابتسامة مضطربة غامضة . وفى المساء ، وما أهدأ ذلك المساء وما أشده سكونا ، وما أعمقه كآبة ــ لم يتناول عشاءه ولم يذهب الى فراشه مبكراً كعادته . بل تناول فى يديه لفافة غليظة من تبغ أسود قوى وظل جالسا الى نافذته واضعا ساقيه الواحدة على الاخرى .

أراد أن يخرج من البيت ويذهب الى مكان ناء ، ولكنه سائل نفسه : الى أين ؟ ! . أيذهب لصيد السمان ؟ ولكن لم يبق وقت لذلك . ثم ليس هناك من يرافقه . أيذهب ؟ ام لا . . . لم يرق له صيد السمان . تنهد وخبط بيده ذقنه غير الحليق .

ثم قال فى نفسه « إن حياة الانسان لقصيرة ضنينة » .

أترى الحقبة طويلة من يوم كان فتى فى ميعة الشباب حتى الآن مدرسة ابناء الجنود ــ حسنا انها ولت . . . الى حيث لارجعة . . . قر وسغب ولغب ــ أسفار الى عمته ، ما أغربها من عمة . ما أشد شذوذها وغرابة أطوارها . هو يتذكرها جيداً ، حتى لكأنها الآن ماثلة امام عينيه ــ عجوز بكر هيفاء نحيلة . لها شعر أشعث ، أسود فاحم ، وعينان دعجاوان شاردتان ذاهلتان . كان يقول عنها أهل القرية إنها قد أصابها الخبل من حادث غرامى لم توفق فيه . . . هو يتذكر كيف كانت تحفظ جيداً بعض أساطير فرنسية جريا على عادة كانت فى ذلك الحين متبعة فى مدرسة ليلية من طراز قديم ، وكيف كانت تكررها مرة بعد أخرى . ويذكر أيضا كيف كانت تضرب على البيان لحن (بولونى أو كينيسكى) . لقد كانت تلك الاغنية تبدو مخيفة غريبة ، لأن السيدة العجوز كانت تغنيها من غير عاطفة ولا شعور

أوه ــ تلك الاغنيـة (بولونى أو كينيسكى) . . . (هى) المعهودة أيضا كانت تحسن غناءها وعزفها على البيان .

والآن اخــذت النجوم فى السماء تبعث بصيصاً ضئيلا من نور خافت وتـلألأ تلألؤاً سحريا لا تدركه الافهام . وطفقت الجنـادب تسبح بصريرها تسبيحتها الواهنـة الوانية ، لاتلبث تفتر حتى تهتاج من جديد فى هدوء المساء وسكون الطبيعة .

. . . هناك بيان عتيق . هناك فى تلك الغرفة الداخلية . النوافذ مفتوحة لو أن (هى) المعهودة تدخل الآن فى الغرفة ، خفيفة الظل كالطيف وتعزف عليها ، تمس مفاتيحها العتيقة المغبرة . . . ومن ثم يذهبان معا الى هناك . . . الى هناك باستقامة واحدة . . . يمران من تلك الطريق الضيقة بين الجويدار الكثيف . الى أين . . . الى بعيد ، حيث الضوء ينبعث فى الافق الغربى .

كبح الكابتن ايفانيش جماح افكاره وابتسم قائلا بصوت مرتفع (لقد ذهب الخيال معى الى بعيد . . .)

كانت الجنادب تصدح بانشودتها فى نسيم المساء الهادىء البليل ومن البستان يعبق شذا الارقطيون المحمل بالطل . واريج زهرة الفجر ورائحة القراص المخضل المنعشة ، فتختلط كل هذه الارواح العطرة فى الفضاء . وتتجه شطر الانوف كانما تنتوى نية أو تبغى بغية . . . هذه العطور الزكية ذكرته بمساء كان قد رجع فيه من المدينة فى ساعة متأخرة ؛ وكيف ظل يفكر (عنها) يخدع نفسه ويمنيها بآمال السعادة والهناء . . . .

ما كنت ترى فى القرية نافذة تشع ، ساعة ساق عربته الى اعالى الرابية . كل شىء تحت تلك القبة السماوية الصاحية السلسبيل الزاخرة بالكواكب كان غارقا فى سبات عميق . . . ليالى أبريل مظلمة دافئة

من البستان كانت تفوح رائحة الكرز المزهر . والضفادع تنق وسنانة في البرك — فتبعث بموسيقى ضعيفة هزيلة من النوع الذى يسمع عادة فى آخر هزيع من ليالى الربيع عندما يدنو الصباح . ظل زمنا طويلا قبل أن يعقد أجفانه الكرى واستلق فى نومة عميقة فوق الحلفاء فى الكوخ بالبستان . قد لبث ساعات يمشى الهوينى على سراب جار تحول من بعـــد إلى سحابة بيضاء شفافة متألقة من الاحلام البعيدة النائية . ولكن هناك جاءت من بركة ليست فى الحسبان بعد حين صيحة لمالك الحزين — كأنها لغز أوسحر . والظلام الحالك — الظلام الذى ضرب بجرانه فى طرقات البستان الضيقة هو أيضا بدا كاللغز أو كالسحر . وبعد ذلك . . . قبيل الفجر فتح عينيه واستنشق ملء رئتيه نسمات البستان الندية الباردة المحملة بالعطر . ومن خلال الكوة المفتوحة قليلا أطلت عليه نجوم الصباح اللامعة مضطربة قلقة .

استفاق الكابتن ايفانيش من هواجسه واستوى قائما . وراح يطوف انحاء الدار ترجع الجـــدر اصداء خطواته ، وينحنى ببلاط الغرف هنا وهناك تحت قدميه مرسلا صوتا متزنا كأنما هو يئن من وطئهما أنين الألم .

« ثمانون عاما عمر هذه الدار ، قال فى نفسه : « لأستدعين الفعلة فى الخريف . سيكون البرد فيها فى الشتاء المقبل قارسا لا يطاق »

وفيما كان يتمشى جيئة وذهابا كان يشعر أنه أضحى الآن أعجف سمجا — هو طويل نحيل محنى بعض الشيء . ظل كذلك يجيء ويغـــدو ثم رفع حاجبيه وهز رأسه وغنى الغناء (البولونى) . أحس أنه يرقب خطواته الخاصة — ينظر الى نفسه — فقدم نفسه الى نفسه على أنها رجل آخر يهيم وحده فى ارجاء الدار — رجل حزين قد أمضه الحزن وأرمضت قلبه الكلوم . حمل كنانته وخرج من الدار .

كان الضوء خارج الدار اكثر منه داخلها ، ولا يزال ضوء الغروب الشاحب الذى توارى خلف القرية يرسل على مزارعها بصيصا ضئيلا باهتا . وبخطوات ثقيلة مرتبكة جاز رقعة من الارض مفروشة بفراش من القراص انتهى منها الى رابية وقف عندها . وبعد أن أشعل غليونه جلس على صخرة هناك .

ثم قال فى نفسه « أرانى جالسا كالبوم على سفح الجبل » وسيقول الفلاحون عنى هناك . . . إن الشيخ لا عمل له . . . نعم لقد امسيت عجوزا « ألم تبت (انا) . . . حتى لكأنها لم تكن » . اين ذهب كل ذلك . . . كل ذلك الماضى

كم ظل محدقا ببصره فى الحقول النائية — كم ظل مصيخا بسمعه الى هجعة الطبيعة وسكنة المساء . . .

قال بصوت مرتفع (كيف يمكن ذلك ؟ !") كل شيء سيبقى على حاله . الشمس تشرق . الفلاحون يخرجون الى الحقول حاملين على اكتافهم محاريثهم عاليها سافلها ، وسوف لا أرى من ذلك شيئا — وليس هذا فحسب ، بل ولن اكون فى هذا المكان ابدا . ولو مرت الوف السنين ، لن اعود الى الدنيا مرة أخرى — لن اجلس جلستى هذه على هذه الرابية . .

لبث زمنا طويلا جالسا جلسته تلك ، مطرقا يسحب شاربيه الاشيبين ويعبث بشعراتهما .

ترى كم من السنين كان الرجل الذى امامه الآن شيئا خطيرا بارزا . . . لقد كان ذات مرة صبيا صغيرا — وكان شابا يافعا — ثم هو فى يوم قائظ لافح من ايام الصيف قصد بعربته الصغيرة الى الانتخابات . . . مارا من طريق عريض رحب . ما اعرض ذلك الطريق ! . .

ابتسم الكابتن ايفانيش الى نفسه من افكاره التى تتواثب من شيء الى آخر .

لكن ذلك كله كان منذ زمن بعيد . . . يمعن فى البعد . . كذلك . اواه ! ماذا يرى الآن امامه ! بالهول مايرى ! قد بلغ زمنا هو كما يقول الناس يصل فيه كل شيء نهايته ، سبعون ، ثمانون عاما لا يقدر الانسان ان يعمر اكثر من هذا . ما هى الحياة البشرية — طويلة كانت أم قصيرة .

قال فى نفسه : (ان حياتى طويلة ! طويلة على كل حال)

هناك فى ظلمة السماء أضاءت نجمة وخرت الى الارض . رفع عينيه الحزينتين الكليلتين ، وظل يحدق فى السماء . وفيما هو يرسل بنظراته فى اعماق تلك اللا نهاية المظلمة الهادئة الزاخرة بالكواكب تنهد الصعداء وشعر بالحزن يذهب عن نفسه . لقد عاش هادئا مطمئنا ، وسيموت هادئا مطمئنا . كالورقة فى تلك الايكة تجف وتسقط متى يحين أوانها ، إيه . لكل اجل كتاب .

لا تكاد الحقول المترامية ترى الآن فى ظلمة الليل الحالكة . اشتدت الظلمة وزاد لألاء النجوم . وبين الفينة والفينة تسمع صيحات السمانى . واخذت تنبعث من العشب الندى رائحة منعشة . استنشق الهواء بخفة ، وبسهولة ملء رئتيه . ما أشـــد اتصاله بهذه الطبيعة الساكنة الهادئة !

بغداد ترجمة ع . الحمدى

٤ - شـــــهر بالغردقة

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

عند آبار البترول

فى الشمال من محطة الاحياء المائيـــة وراء الافق جبل عال تراه من المحطة اذا كان الجو صافيا ناتئا فى البحر ببروز كبير . كان لهذا الجبل شأن خاص فى قديم الزمان عند القدماء : من مصريين ورومان ، فامتدت اليه همتهم وقصدوه من وادى النيل عبر الصحراء طلبا فى سائل أسود كثيف ذى رائحة شديدة ينضح من جدار الجبل عند سطح الماء — هذا الجبل هو جبل الزيت ، وهذا السائل هو زيت البترول ، ولا يزال الجبل ينز بالزيت الى يومنا هذا ، وفى القرن الماضى عثر على الزيت فى مغارات قديمة بالقرب من دمشه (جمسا) جنوبى جبل الزيت بنحو عشرين كيلو مترا ، فدل هذا على وجود الزيت فى باطن الارض فى هذه المنطقة بكميات كافية للاستغلال التجارى ، فتقدمت لاستنباطه شركة شل الانجليزية ، واستحوذت من الحكومة المصرية على منطقة امتياز فى هذه البقعة ، وبدأت العمل فى مستهل هذا القرن ، ثم حفرت أربعا وثلاثين بئرا مكثت تجود بالزيت حتى سنة ١٩٢٧ ، ثم نضب معينها فهجرتها الشركة وتحولت لغيرها .

ويظهر ان هذا النجاح حفز حكومتنا السنية للبحث عن البترول ، فاختارت بقعة جنوبى دمشة بخمسين كيلو مترات تعرف بأبى شعر ، فأنشأت فيها فى أوائل هـذا القرن أيضا مرفأ حسنا ، وجعلت حوله رصيفا لارساء السفن . مدت عليه سكة حديد ضيقة تربطه بالداخل لمسافة طويلة ، ثم أقامت بالقرب من الرصيف المخازن والمنازل لايواء الموظفين والعمال وجلبت اليه الفناطيس والماكينات والسيارات والانابيب ، وكلها من أجود أنواع الصلب المتين ، ثم أخذت فى حفر بئر وقبـل أن تتمها بدأت فى حفر بئر ثانية على مسافة من الاول وقبل اكمالها توقفت عن العمل فصرفت العمال والموظفين وشونت الماكينات والادوات وتركت الابراج قائمة على الآبار الى اليوم

وقد زرنا أبا شعرة عصر أحـد الأيام وهو قريب من محطة الاحياء المائية ، فاستقبلنا بالقرب من المرفأ الخفير القائم بالحراسة من قبل مصلحة المناجم ، وقال هنا فى هذا المخزن عربات الترولى وفى ذاك المخزن ست عربات لورى ، وهناك الوابورات ملقحة ، وعلى يمينكم بيت المدير والادارة ، وعلى يساركم منازل الموظفين والعمال ، وعلى رأس السكة فنطاس الزيت ، وخلف التل البئر الاولى وفى الوهدة أمامكم البئر الثانية . ثم تقدمنا وتبعناه فشاهدنا برجا عظيما من الحديد قد أقيم فوق البئر ولا زالت الاحبال والعدد هناك كما تركتها العمال من عشرين عاما ونيفا .

وكنت أتخيـل الحارس وهو يعـــدد محتويات أبو شعر كأنه الترجمان فى منطقة سقارة أو الهرم وهو يرشـــد السائحين الى مقابر الفراعنة وآثار الغابرين . وكنت اسائل نفسى فى حيرة عن السبب أو الحكمة التى املت هذا التصرف الغريب وعن العقلية التى أوحت بترك كل هذه الادوات والعدد وثمنها لا يقل عن سبعين الفا من الجنيهات كما قال الحارس ملقاة هـكذا وسط الرمال طوال هـذا الزمن حتى كادت تبلى مادامت الحكومة قد قطعت الامل من وجود البترول فى هذه المنطقة

وفى عام ١٩١٤ استحوذت شركة شل (أيضا) على شقة طويلة من ساحل البحر جنوبى ابى شعرة بعشرة كيلو مترات (فقط) فى منطقة الغردقة ، ثم حفرت فيها الآبار وأقامت عليها الأبراج وشيدت المعامل والمنازل وما الى ذلك كما سيأتى وصفه

وقد توجهنا لزيارة هذه الآبار عصر أحد الايام رفقة صديقنا الدكتور محمود أبو زيد مفتش مصلحة المناجم وهو مندوب الحكومة لدى الشركة وله الاشراف على تنفيذ اشتراطات العقد بينها وبين الحكومة ، وقد استقبلنا عند وصولنا الى مركز الشركة وكيل المدير وهو انجليزى وبعد تبادلنا التحية اجازلنا الزيارة ، فتوجهنا الى المعمل الفنى ثم الى منطقة الآبار ، ويدير المعمل عالمـان لهما دراية خاصة بالجيولوجيا الصناعية فيقدم لهما عينات من أنواع التربة التى تخرج اثناء عملية حفر الآبار فيبحثانها بحثا مستفيضا من حيث التكوين والعصر الجيلوجى الذى تكونت اثناءه ونوع الحيوانات التى كانت تعيش فيها وهكذا ، ثم يعمل بذلك رسم تمثيلى لكل بئر يدل على الترتيب الطبقى للقشرة الارضية فى مكان البئر ونسبة السمك لكل طبقة وغير ذلك من البيانات الدقيقة . ومن

هذا الرسم والشواهد الجيلوجية المحلية يكون فى مكنتهما ان يقدما للشركة بيانات صحيحة لدرجة كبيرة عن الامور الآتية :

١ — صلاحية المنطقة من حيث وجود البترول

٢ — عمق الطبقات الخازنة له

٣ — نوع البترول

٤ — اتجاه البحث عند الشروع فى اختيار مكان حفر البئر التالية .

ولهذا المعمل على صغره وسكون الحركة من حوله اهمية كبرى فى نظر الشركة، وذلك لعظم النفقات التى يتكلفها حفر البئر الواحدة ، فقيمة ذلك تتفاوت بين ستة آلاف وعشرة آلاف من الجنيهات . وللقارىء ان يتصور فداحة الخسارة التى قد تصيب الشركة اذا سارت فى حفر الآبار على غير هدى كأن تقوم بالحفر فى منطقة رحل عنها البترول او كانت الطبقة الخازنة له قليلة العمق ينضب معينه منها بعد زمن وجيز

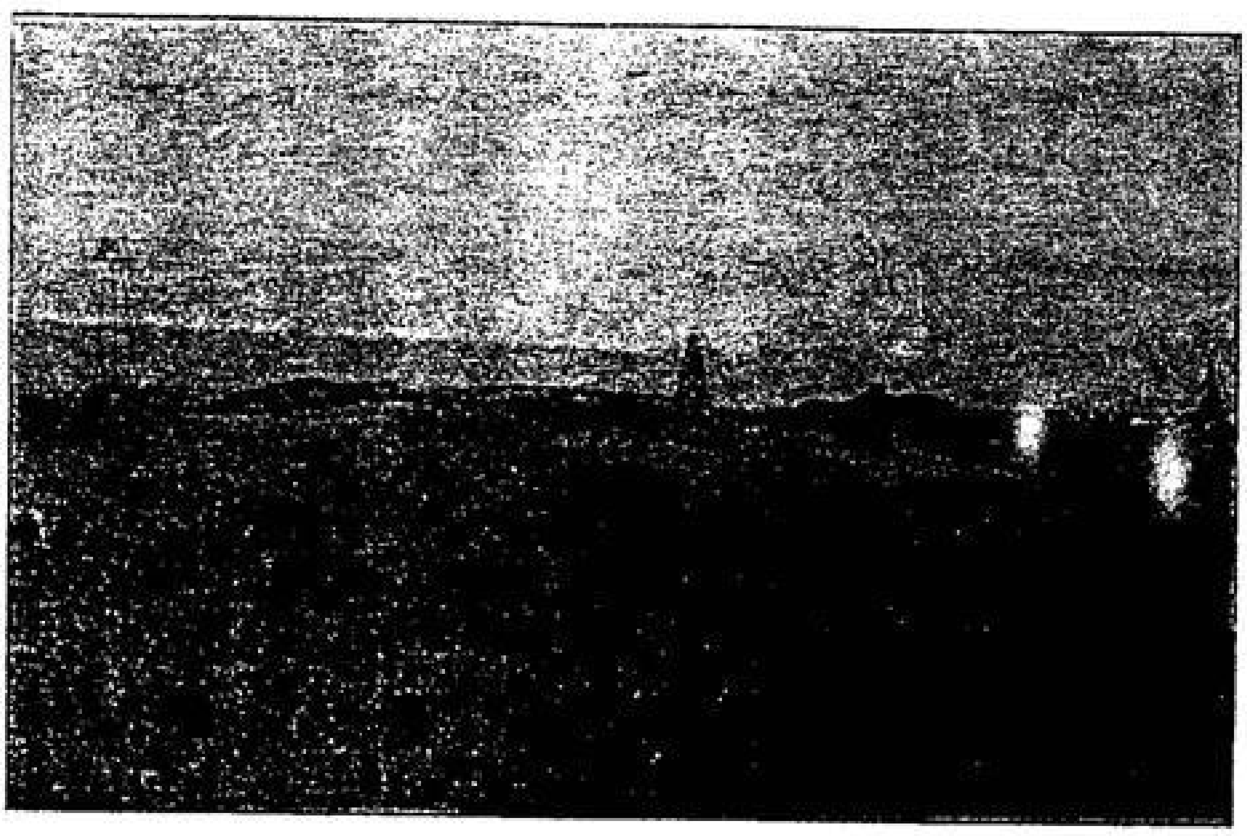
وقد انتهزت فرصة وجودى بالمعمل وسألت أحد العالمين عن رأيه فى مسألة اصل زيت البترول، وهى من المسائل العلمية التى لم تتقرر بعد بصفة قاطعة . فأجاب بأنه فى جانب النظرية التى تقول بان البترول ناتج عن انحلال مواد نباتية وحيوانية معا .

خرجنا من المعمل قاصدين الآبار ، وتقع منطقة الاستنباط الاساسية عند سفح تل من حجر جيرى - المحطة نمرة ١ - وفى هذه البقعة حفرت الشركة أولى بئر لها ، وقد قيل لنا ان خروج الزيت منها كان بكميات عظيمة مكثت مدة تتدفق ليل نهار على هيئة نافورة ، حتى انها اغرقت من الارض حولها مساحة كبيرة — ثم توالى بعد ذلك حفر الآبار شمالا وجنوبا حتى بلغ عددها التسعين — وفى السنوات الاخيرة قل الناتج اليومى منها قلة ظاهرة دعت الشركة الى الانتقال الى المحطة نمرة ٢ وهى تقع فى شقة جبلية قريبة من البحر على مسافة

كيلومترين تقريبا جهة الشرق من المحطة الاولى . وعدد ما حفر من الآبار بها حتى وقت الزيارة سبع عشرة بئرا كلها تجود بزيت غزير

وعملية حفر الآبار من العمليات الهندسية الدقيقة ، وقد شاهدنا بئرا فى دور الحفر فى المحطة الثانية قد اقيم عليها برج من الحديد لا يقل ارتفاعه عن عشرين مترا تتدلى من قمته احبال من الصلب معلقة فى بكرات ، ووقف فى البرج حول البئر المهندس والعمال ، وكانوا يدخلون فى جوف الأرض انبوبة طويلة من الصلب ، ومصدر الحركة فى البرج طارة كبيرة من الخشب تديرها ماكينة قوية وقودها الزيت الثقيل

وعلى خبرة المهندس وبراعته يتوقف نجاح حفر البئر ، فمثقاب ثقيل صاعد هابط ، وانابيب ترسل فى جوف الارض الى عمق الفين وربما الى عمق ثلاثة آلاف من الاقدام الواحدة تلو الاخرى فى استقامة رأسية ، وإشارات المهندس يتلوها أفعال واعمال بأوضاع مختلفة مؤتلفة . والمثقاب دائب الحركة داخل الانابيب، وفتات الصخور والرمال ترتفع من باطن الارض الى سطحها بطرق ميكانيكية ، وبصيرة المهندس تلحظ ما هو جار فى الاعماق فتصلح اى انحراف قد يطرأ على اتجاه الانابيب أو تسد بالسمنت ما قد يحدث من الثغرات فى جدرانها حتى لا يتدفق فيها ماء الرشح او يتسرب منها الرمل فتفسد البئر ، ويستمر العمل جاريا هكذا مدة ثلاثة شهور او أربعة وأحيانا عشرة حتى يصل المثقاب الى طبقة البترول ، وهنا يسير العمل بحذر شديد وبعناية كبيرة ، وتتجلى فى هذا الدور ألمعية المهندس فى توقيه ما قد يحدث احيانا من انبثاق الزيت وهو تحت ضغط هائل من الاعماق السحيقة الى وجه الارض بشدة عظيمة تخرب البئر وتقذف الانابيب والادوات فى الهواء الى علو كبير ، وتغرق الارض بكميات كبيرة من الزيت يذهب معظمه هباء



حقول البترول بالغردقة

(البقية على صفحة ٦٤٠)

مصر فى الصباح

(بقيـــة المنشور على صفحة ٦٠٣)

واذن فهو مازال عاجزا كصاحبيه ، واذن فما زلنا ننتظر من يصف الحالة الحاضرة ويصور مصر فى الصباح .

أما أنا فلم اشك فى أن مصر فى الصباح موضوع خطير لابد من الكتابة فيه ، ولكن أى مصر ؟ اهى مصرى انا أم مصر الزيات ام مصر صديقنا محمود ؟ فقد كانت لنا امصار ثلاث مختلفة فيما بينها اختلافا غير قليل . كانت مصرى انا تبتدىء فى ربع من ربوع حوش عطى ، وتنتهى الى الازهر الشريف مارة بمشهد الحسين والحلوجى بعد أن يقطع السالك الى هذا المشهد الكريم احدى طريقين : حارة الوطاويط ، أو شارع خان جعفر .

وأما مصر محمود فكانت تبتدىء فى الظاهر فى حارة ضيقة قريبة من بيت الشيخ الانبابى رحمه الله ، وتنتهى الى الازهر الشريف مارة بما شئت من الطرق التى تستقيم ان اردت لها أن تستقيم ، وتلتوى إن احببت لها الالتواء .

وأما مصر الزيات فكانت تبتدىء فى حارة ضيقة على قلعة الكبش ، ثم تنحدر الى شارع لا اذكر اسمه ، ولكنه ينتهى الى مسجد السيدة زينب . ثم تصل بعـــد ذلك الى الازهر من طرق تستطيع أن تستقيم وتستطيع أن تلتـــوى ، تستطيع ان تقصر ، وتستطيع أن تطول . فاى هذه الامصار الثلاث أصف ؟ وعن أى هذه الامصار الثلاث أتحدث ؟ فاما مصرى أنا فقد كانت حلوة لذيذة فى الصباح ، ولكنها لم تكن تعجب الزيات ، ولم تكن تلذ لمحمود . كان يوقظنى فيها مع الفجر صوتان : احدهما صوت المؤذن الذى كان يدعو الى الصلاة فى جامع بيبرس ، والآخر صوت جارنا الشيخ الذى كان شافعيا موسوسا ، ينفق نصف ساعة فى اقامة الصلاة : ال .. ال .. الله .. الله .. ال .. الله أكبر . ثم يبدو له فيخرج من الصلاة أو يستأنف الدخول فيها : ال .. ال .. الله .. الله ال .. الله أكبر . ثم يمضى فى صلاته حتى يتم الفاتحة أو يكاد ، واذا هو يخرج منها ويستأنف الدخول فيها . وما يزال يقبل ويدبر ، ثم يبدأ ويعيد ، ثم يقيم الصلاة ويستأنف اقامتها ، حتى اذا أشفق من فوات الوقت عزم أمره ، وهجم على صلاته فاقتحمها اقتحاما ثم مضى الى درسه فى الازهر الشريف .

أستغفر الله فقد نسيت صوتا ثالثا كان يوقظنى فى السحر لا فى الفجر ، صوت ذلك الشيخ الظريف الذى لم يكن عالما ولا شيئا يشبه العالم ، وانما كان تاجرا أعرض عن التجارة ، وانقطع للفكاهة والضحك فى النهار ، وللصلاة والنسك فى الليل . فاذا أقبل السحر خرج من غرفته يهمهم ويجمجم ويضرب الارض بعكاز غليظ ، ويبعث فى الجو صوتا هائلا رائعا يحمل جملا متقطعة من الورد الذى كان يبدأه فى غرفته ليتمه ، ثم يستأنفه فى مسجد الحسين ، حتى اذا صلى الصبح عاد هادئا مطمئنا قد خف وقع عكازه على الأرض ، وخف ارتفاع صوته فى الجو ، لأن الذين كانوا نياما فى السحر قد أصبحوا أيقاظا حين ارتفعت الشمس . أستغفر الله ، وقد أنسيت أصواتا أخرى ، كانت تنبعث بعد أن ينقطع صوت المؤذن : فهذا سائق عربة قد أقبل يحل خيله أو يحل حماره الذى عقله تحت النافذة . وهذه «حمدة» التى كانت تبيع ألوان الفاكهة على اختلافها باختلاف الفصول تفرضها علينا نحن المجاورين فرضا . فاما اشترينا وإما تعرضنا لغضبها ، وويل لمن كان يتعرض لغضب «حمدة» ، فقد كان عنيفا مخيفا يضطرب له الربع ويزلزل له حوش عطى زلزالا . !!

على هـذه الاصوات كنت أستقبل مصرا ، وكانت تستقبلنى مصر فى الصباح ، فاذا هبطت من الربع ومضيت الى مدخل حوش عطى ، فهذا صاحب القهوة قد أفاق ، وهو يحك عينيه من بقية النعاس ويهيىء «الجوزة» للحاج فيروز ، هذا الذى كنا نشترى من عنده أكثر ما نبتغى من ألوان الطعام . فاذا مضيت قليلا فهذه الحوانيت تستيقظ شيئا فشيئا ، وهؤلاء باعة الفول والبليلة والطعمية قد ازدحم من حولهم الناس ، حتى اذا تقدمت بعض الشىء عطفت ذات الشمال ان كنت مستعجلا ، فمضيت من حارة الوطاويط ، حيث أقذر مكان خلقه الله ، وحيث أعظم الناس حظا من البؤس رجالا ونساءا ، قد جلسوا فى أقبح شكل وأبشعه يسألون الناس . وان كنت مستأنيا عطفت ذات اليمين ، فمضيت من خان جعفر ، وانتهيت على كل حال الى شارع الحسين ، ثم المفارق الاربعة ثم انغمست فى شارع الحلوجى ، ثم دفعت الى باب المزينين .

هذه مصرى التى كان الزيات يريدنى على ان أصورها له فى الصباح ، وأقسم لو فعلت لنفر منى وهزأبى وازور عنى ازورارا . ولكنى واثق الآن بأنى حين أتحدث اليه عنها اثير فى نفسه عواطف يحبها واحلاما يرضاها ، وأبلغ من استحسانه ما أقصر عنه من غير شك

العالم المسرحي والسينمائي

٢ ـ فن التنكر MAKE - UP

وعلاقته بالاضاءة المسرحية

تحدثنا فى الاسبوع الماضى عن فن التنكر من الوجهة العامة بحيث اوضحنا اهميته وخطره للممثل الذى يريد أن يتقن عمله المسرحى الاتقان الفنى المنشود ليستطيع أن يخرج الشخصية التى يمثلها الاخراج الصحيح المطلوب من الممثل الكفء . وقد رأينا سعة الدائرة التى يشملها هذا الفن حتى ليتطلب الالمام به دراسة شاملة دقيقة بعضها يتصل بعلم النفس ، وبعضها يتصل بعلم التشريح والطب ، وبعضها يتصل بدراسة الاجناس المختلفة المبعثرة على سطح هذه الارض .

ونتحدث فى هذا الاسبوع عن فن التنكر من احدى نواحيه الفنية أعنى من حيث علاقته بالاضاءة المسرحية . فالاصباغ والادهنة التى يستخدمها الممثل فى تنكره تتألف من الوان مختلفة متعددة ، ومن الثابت أن الالوان لها علاقة وثقى بالضوء ، وشتان مابين الاضواء الصناعية والضوء الطبيعى الذى يكسب الاشياء مظهرا خاصا ولونا خاصا لا يمكن أن يكون لها تحت الاشعة الصناعية . وليس ثمت ضوء صناعى يظهر الاشياء بنفس المظهر الذى يكون لها تحت اشعة الشمس فى وضح النهار ، لذلك كان لزاما علينا أن ندرس هذه العلاقة بين اللون والضوء حتى نستطيع فى المسرح أن نعطى الضوء المناسب

وقد أدخلت فى السنوات الاخيرة تحسينات كثيرة على الاضاءة المسرحية سواء من الوجهة الفنية أو الآلية ، وتكاد تكون لكل مخرج طريقته الخاصة به ونظرياته التى يبتكرها تارة أو يستنبطها من تجاربه المتوالية تارة أخرى . ولسنا بصدد شرح هذه النظريات ، فنتركها الى البدهيات التى لا محل فيها للاختلاف

والآن نضع هذا السؤال : كيف نرى الأشياء ونميز الوانها المختلفة؟ حاسة النظر هى التى تؤدى لنا هذه الغاية بواسطة الضوء . وهذا ثابت من الحقيقة المعروفة اذ لا يمكن أن نرى شيئا من الاشياء الا اذا سلطنا عليه ضوءا طبيعيا أو صناعيا ، فاذا لم يكن هناك هذا الضوء لم نستطع رؤية شىء . وادخل غرفة مظلمة ، وحاول أن تميز مافيها فلن تستطيع مهما كنت حاد البصر ، مع أن الغرفة ملأى بما فيها من أثاث وأدوات وغيرها . وعود من الثقاب تستطيع بلهبه ، الذى يشع ما نسميه بالضوء تمييز مافى هذه الغرفة . وأكثر مافى هذا العالم من الاشياء لا يشع ضوءا ذاتيا ، وتسمى لذلك بالاجسام غير مضيئة ، والبعض الآخر له القدرة على الاشعاع الذاتى ويسمى بالاجسام المضيئة . وهذه الاجسام كالشمس ، والمصباح ، واللهب ترى بواسطة الضوء الذى تشعه ، ويتألف هذا الضوء من ذرات مضيئة يصل بعضها الى شبكة العين فيؤثر فيها هذا التأثير الخاص

أما الاجسام غير المضيئة فانها تترائ للعين لعلة واحدة وذلك بسبب مالها من الخاصية فى عكس الاضواء التى تنصب عليها من الاجسام المضيئة . وعلى ذلك فان الاشياء التى تراها انما تبين لناظريك عن طريق الضوء الذى تعكسه على شبكة العين . وتتوقف درجة وضوحها ومداها على طبيعة وحجم الاجزاء العاكسة للضوء فيها ، وعلى مقدار الضوء المتسلط عليها ، وعلى المدى الذى بينها وبين العين والاجسام المضيئة تبدو كأنها تزداد حجما كلما زاد ضوؤها بريقا وقوة ، واذا نظرت الى شيئين متساويين فى الحجم احدهما مضىء والثانى مظلم بدا الاول أكبر حجما من الثانى .

لو أنى صورت له مصر فى الصباح هذه التى تبتدىء من دارى فى الزمالك ، وتنتهى عند الكوكب فى عابدين .

ان الزيات ليحسن أعظم الاحسان لو انه وصف لنا مصره فى الصباح ، تلك التى كانت تبتدىء من قلعة الكبش ، وتنتهى الى الازهر ، وان محمودا ليحسن أعظم الاحسان لو انه وصف لنا مصره فى الصباح ، تلك التى كانت تبتدىء فى ظاهر القاهرة المعزية ، كما كان يقول ، وتنتهى الى الازهر ، فاما مصرهما الاخرى هذه التى تبتدىء فى شبرا وتنتهى عند الرسالة ، أو عند قبة الغورى ، فلسنا فى حاجة اليها الآن ، وقد يحتاج اليها ابناؤنا بعد ربع قرن ، كما نحتاج نحن الى أمصارنا تلك العزيزة فى أيامنا هذه .

طه حسين

ومن المسلم به أن الضوء الابيض ، كما يسمونه في الاصطلاحات العلمية ، يتألف من جميع الالوان الموجودة في الطبيعة أو التي يمكن خلقها صناعيا ، ومن الميسور تفريق هذه الالوان بعضها عن بعض ، كما انه من الميسور مزجها من جديد فيعود للضوء لونه الاصلي. وهذه الالوان المختلفة يمكن تقسيمها الى ستة ألوان رئيسية هي الاحمر ، والبرتقالي ، والاصفر ، والاخضر ، والازرق والبنفسجي. ولكل من هذه الالوان طبيعته ، ولكل منها موجته وخواصه الى غير ذلك مما لسنا بصدده. ولكن يهمنا هنا أن نقرر أن جميع الالوان ليست الا نتاجا للضوء في انعكاسه من سطح المنظور على شبكة العين. فالاشياء التي نراها ليست لها الوان ذاتية في الحقيقة ، ولكنها تكتسب الوانها التي نراها ونصفها من طريق الانعكاس الضوئي. أو نقول بعبارة أخرى ، إن اللون ينتج من الضوء الواقع على الشيء المنظور.

وما نسميه بالالوان الطبيعية للاشياء يرجع الى الحقيقة المقررة من أن كل منظور يعكس على العين لونا من الالوان الموجودة في الضوء الابيض المسمى بالضوء الكامل لأنه يتألف من جميع الألوان والاجسام غير المضيئة خاصة تمييز أو امتصاص الضوء المتسلط عليها. وهذه الخاصية لها قوة الاختيار ، اى انها تمتص بعض الوان الضوء وتعكس البعض الآخر. وعلى ذلك فلون شيء من الاشياء يرجع في حقيقته الى طبيعة اللون الضوئي الذي لم يمتصه المنظور وعكسه على العين. فمثلا ، اذا امتص المنظور كل الضوء المتسلط عليه بدا المنظور أسود اللون واذا عكس كل الضوء بدا أبيض اللون.

فالمنظور الذي يبدو أحمر اللون تحت الضوء الابيض يكون قد امتص سائر الألوان الضوئية ولم يعكس منها الا الاشعة الحمراء ، فطبيعة اللون الذي يبدو للمنظور تتوقف على الضوء الساقط عليه ، فاذا فرضنا أن الاشعة التي يعكسها المنظور معدومة في الشعاع الساقط عليه أو قليلة المقدار بدا المنظور قاتما أو غير تام الوضوح. ومن المعروف أنه لا يمكن الحكم على الوان الاشياء حكما صادقا تحت الاشعة الصناعية. وذلك لان هذه الاشياء تكون في هذه الحالة معرضة لضوء لا يحتوي على كل الالوان الضوئية ، ولذلك لا يمكن لهذه الاشياء ان تعكس جميع الالوان التي تعكسها تحت الضوء الطبيعي والضوء الملون ضوء ناقص ، أي انه ينقصه لون او جملة الوان من تلك التي يحتويها الضوء الابيض الكامل.

وهذه الكلمة الموجزة عن طبيعة الضوء انما تعيننا على فهم الاضاءة الصناعية المستخدمة في المسرح وعلى الاستفادة منها بحيث نتسلط عليها كل التسلط ونوجهها الوجهة التي ننشدها لنخرج منها على خشبة التمثيل ما نشاء من الصور والأخيلة التي نريد ان نبرزها للتفرج.

ولما كان التنكر المسرحي اساسه اصباغ وأدهنة ملونة ، يستخدم كل لون منها لغاية مخصوصة محدودة ، فان العلاقة بين فن التنكر والاضاءة المسرحية تبدو واضحة جلية.

محمد على حماد

شهر بالغردقة

(بقية المنشور على صفحة ٦٣٧)

وتكون الخسارة أفدح لو اتصلت النار بهذا الزيت فنشب حريق هائل قد يلتهم باقي الآبار ومستودعات البترول ومباني الشركة.

وللمهندسين طرائق مختلفة لاجتناب هذه الكارثة ـ فاذا اجتاز الحفر هذه الخطوة الدقيقة ووصل المثقاب الى الزيت نفسه رفع المثقاب وأدليت مكانه مضخة ماصة كابسة تستقر وسط الزيت على عمق لا يقل في المتوسط عن ٦٠٠ متر ، هذا اذا كان ضغط الغازات في باطن الارض عاديا ، أما اذا كان الضغط كبيرا فان الزيت يستمر متدفقا داخل الأنابيب من نفسه مدة طويلة حتى يهبط ضغطه ، وعندئذ تدار المضخة بواسطة محركات قوية فيخرج الزيت على هيئة سائل كثيف لونه اسمر داكن مشبع بغازات فوارة ومختلط بدقائق الماء الملح وبعض المواد الصلبة والاملاح فيرسل في انابيب الى أجهزة خاصة لتنقيته مما فيه فتنفصل عنه أولا الغازات الخفيفة التي ينتفع ببعضها محليا كوقود ثم تفصل عنه الاملاح بغسله بالماء العذب في احواض مقفلة ثم يفصل عنه الماء بطرق كهربائية في مصنع كبير مشيد بالقرب من الآبار ، ومن جهازات التنقية يذهب الزيت الى مستودع كبير بالقرب من الميناء لتخزينه بها حتى شحنه في السفن للسويس لتكريره وفصل مركباته عن بعضها كزيت الاضاءة وزيت الوقود والبنزين وغير ذلك — ويبلغ الناتج اليومي من البترول الخالص في حقل الغردقة ٦٠٠ طن يصيب الحكومة منه نحو ٦٠ طنا وذلك قيمة الضريبة.

الدمرداش محمد

يتبع

على ابواب الزواج

إسم لكتاب وضعه « احمد محمد حنفي » في مسائل جليلة في الزواج ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة والمكاتب الشهيرة